كشف الغطاء عن أسرار العنقاء

شرح وتحقيق

كتاب عنقاء مغرب

فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب

لسيدى
محيى الدين بن عربى رضى الله عنه

الشارح
محمد إبرهيم محمد سالم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مطبعة حماده بقويسنا

كشف الغطاء عن أسرار العنقاء

شرح وتحقيق

كتاب عنقاء مغرب

فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب

لسيدى
محيى الدين بن عربى رضى الله عنه

الشارح
محمد إبرهيم محمد سالم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

وبعد ،،،

فقد تطفلت على موائد الكرام فتزيلهم لا يضام .فكان من تعلقى وحبى لعلوم سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه وبعد ما قمت بتآليف خاصة به رضى الله عنه كتأييد الصوفية فى المجموعة الحاتمية وحل الغريب من المجلد الأول من كتاب الفتوحات المكية للشيخ رضى الله عنه وكذلك مفتاح الفتوحات المكية. أردت أن أتابع كتبه رضى الله عنه ومن أهمها كتاب [**عنقاء مغرب**] فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب دخلت هذا الميدان بكل اطمئنان لهذا السعى . وأصل التوفيق من الله ببركة حبهم رضى الله عنهم فأقول إن لفظ عنقاء فى اصطلاح القوم اسم على غير مسمى ومثله لفظ الكبريت الأحمر . وما كل مسمى غير معروف يوصف بالعدم . فإن فى الأذواق الدقيقة حضرة عزيزة لا يدرك كنهها وما كل موجود يحس ويدرك بالعقل فإن للحس والعقل حدودا يقفان عندها وما كل محال عقلا معدوم ذوقا وشهودا .

المقدمة

التعريف بسيدى محيى الدين بن عربى رضى الله عنه ملئت به كتب المنصفين المحبين للصوفية وقد تكفل كتابى [**تأييد الصوفية فى المجموعة الحاتمية**] بذلك وقمت فى هذا الكتاب بخدمة علوم الشيخ بالشرح الممكن لمثلى . وقد ذكر الشيخ رضى الله عنه فى خطبة كتابه [**الفتوحات المكية**] حصوله على مرتبة الختمية المحمدية الخاصة .

وفى كتبه الأخرى ذكر أنه علم بالختم فى فاس ورآه سنة خمسمائة وخمس وتسعين وذكر هذا فى قصائد فى ديوانه الكبير . وفى قصيدة كبرى بالجزء الأول من كتاب الفتوحات المكية مطلعها * لما انتهى للكعبة الحسناء * وحققت فى كتبى التى أخرجتها أن الختمية صحت لأكابر غير الشيخ رضى الله عنه كما نطق بها سيدى محمد وفا رضى الله عنه وحقق سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه أن هذه المرتبة تظهر فى كل عصر . وحققت أن هذه المرتبة درجة فى العلم بالله رفيعة إذا بلغها العارف الكبير نطق بها . وقد ألف الحكيم الترمذى كتابا خاصا سماه ختم الأولياء مطبوع وتصفحته ووجدت فيه إضافات لغير الصوفية فأصلحت الكتاب وهذا ضرورى عندى أن يعيش الصادق من أهل الله فى جو صاف من كدورات الزيف والجهل .

طرح الترمذى فى كتابه أسئلة عددها مائة وخمسة وخمسين سؤالا وذكر أن الذى يجيب عليها هو ختم الأولياء .

وقد أجاب عن هذه الأسئلة سيدى محيى الدين بن عربى فى المجلد الثانى من الفتوحات المكية .

المدخل إلى الكتاب

كتاب عنقاء مغرب طبع عدة طبعات بينها تفاوت فى بعض الألفاظ وذلك جهد القائمين بذلك لعمق الكتاب وندرة أصوله وبفضل الله لم يغير هذا التفاوت البسيط من قيمة الكتاب و لم يتعد على مفهومه وسياقه .

وهاأنا بتوفيق الله أسوق نص الكتاب محررا بقدر استطاعتى وبعد ما أورد النص أعلق على الصعب منه بقدر استطاعتى فإن الكتاب فتح كبير وكشف غزير .

** الفصل الأول **

قدم رضى الله عنه للكتاب قصيدة شعرية بعنوان : (**الوعاء المختوم على السر المكتوم**) ..

حمدت إلهى والمقام عظيم فأبدى سرورا والفؤاد كظيم

قوله (كظيم) : لهذا اللفظ فى معاجم اللغة معان كثيرة ولعل الأنسب هنا : ماسك على ما فيه من الشعور بعظمة الله .

وجاء عنوان القصيدة فى بعض النسخ بلفظ الدعاء والأنسب ما هنا .

وما عجبى من فرحتى كيف قورنت بتبريح قلب حل فيه عظيم

(التبريح) : توهج الشوق .

ولكننى من كشف بحر وجوده عجبت لقلبى والخلائق هيم

قوله (هيم) : متعطشة للاستقرار على العلم بالله .

لذلك الذى أبدى من النور ظاهرا على سدف الأجسام ليس يقيم

قوله (من النور) : أى عالم الأرواح والعلم - قوله (سدف) : أى ظلمة .

وما عجبى من نور جسمى وإنما عجبت لنور القلب كيف يريم

قوله (يريم) : أى يبرح ويفارق .

فإن كان عن كشف ومشهد رؤية فنور تجليه عليه مقيم

تفطنت فاستر علة الأمر يا فتى فهل رؤى خلق بالعليم عليم

قوله (علة الأمر) : حقيقة الوجود .

تعالى وجود الذات عن نيل علمه به عند فصل والفصال قديم

قوله (علمه) الظاهر رجوع الضمير إلى الذات - قوله (به) هكذا فى أكثر النسخ ولعل الضمير راجع إلى الخلق المذكور فى البيت السابق وفى نسخة (بها) واخترت ما عليه الأكثر .

قوله (فصل) : الظاهر أن المراد بالفصل تنزيه الذات بدون نظر إلى الخلق فيسهل معنى (والفصال قديم) .

فرافق ربى قد أتانى مخبرا بتعيين ختم الأولياء كريم

قوله (فرافق) : هكذا فى أكثر النسخ ولعل المراد بالرافق أى ما يجىء من عند الله من الأخبار . قوله (ختم الأولياء) : أشرت إلى معنى ذلك بالمقدمة .

فقلت وسر البيت صف لى مقامه فقال حكيم يصطفيه حكيم

قوله (البيت) أى الكعبة - قوله (مقامه) الضمير يعود على الختم - قوله (حكيم) فى نسخ أخرى حكيما وما ذكرته من نسخ أقوى تصحيحا .

فقلت يراه الختم فاشتد قائلا إذا ما رآه الختم ليس يدوم

قوله (يراه) الضمير عائد على الختم المذكور فى البيت السابق فيكون المراد بلفظ الختم فى البيت السابق سر الختم . وفى البيت الحالى صورة الختم ولا مانع من شرحى هذا بقدر الاستطاعة .

وقد سمعت فى دوائر تحقيق علم لفظ (سر الختم) والمقامات والمراتب عند القوم دقيقة وأنا مسلم بها بفضل الله وكما قلت فى المقدمة أن الختمية مرتبة علمية رفيعة فعلى هذا تتعدد درجات العلم فى الرفعة . وعلى ما شرحت يكون لفظ الختم المذكور فى الشطرة الثانية هنا ظاهر الختم . ويكون قوله (ليس يدوم) أى يصير الحكم إلى سر الختم والله أعلم .

ولاحظ أن لفظ (يدوم) المذكور هنا مذكور فى نسخ أخرى (يروم) ويمكن فهم المعنى على ذلك أيضا بصيرورة الحكم لسر الختم وظهوره وحده فلا ترومه ولا تطلبه صورة الختم .

وهنا أذكر أن هذا البيت من كلام سيدى محيى الدين صاحب الكتاب وقد قرأت له أنه رأى الختم ودعا له بتمام النعمة وقد حققت أنه رضى الله عنه نال الختمية وعلم بذلك كما أشرت إليه فى المقدمة فانتبه .

فقلت وهل يبقى له الوقت عندما يراه نعم والأمر فيه جسيم

هذا البيت يعود معناه على البيت السابق فى شرحى للختم وسر الختم فيكون المراد هنا أن صورة الختم لا تنعدم فهى قائمة فى حضرة الظهور المرتبى . وسرها مبطون وقائم أيضا فى مرتبته ولا تداخل ولا ازدحام فى المراتب وأقول إن علمهم وذوقهم يخصهم . فقوله (نعم) إجابة أى ظهور صورة الختم مسلم به أيضا . وعلى هذا فالأمر جسيم للغاية فى فهم الحقائق الخاصة بالقوم .

وللختم سر لم يزل كل عارف عليه إذا يسرى إليه يحوم

صححت هذا البيت من ديوان الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين ابن عربى رضى الله عنه ومعناه على هذا ظاهر بخلاف طبعات كتاب عنقاء مغرب . ففيها خلاف ذلك مما لا يمكن فهم معناه - فالضمير فى (عليه) يعود على قوله (لم يزل) والضمير فى (إليه) عائد على لفظ سر وقوله (يحوم) أى يطلب هذا السر . وحقا فهم سر الختم دقيق للغاية .

أشار إليه الترمذى بختمه ولم يبده والقلب منه سليم

أشرت سابقا إلى كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذى .

قوله (ولم يبده) أى لم يظهر حقيقة الختمية كما فهمها سيدى محيى الدين وإخوانه من أكابر القوم - قوله (سليم) الظاهر أن مراد الشيخ رضى الله عنه بمعنى موجع ومتألم على ما هو المفهوم من معاجم اللغة .

وما ناله الصديق فى وقت كونه وشمس سماء الغرب منه عديم

قوله (ناله) الضمير يعود على مقام الختم . وليس معنى عدم نوال الصديق له على ظاهره فإن المقامات ينالها أصحابها فى وقت فتح بابها والمقامات تنال

بالتدريج فى بعض السالكين . ففى الوقت الذى لم تطلع فيه شمس سماء الغرب بوضوح ذلك المقام الختمى يصح إطلاق هذا البيت على سيدنا الصديق . والمراد بالشمس فى الأذواق النور ويراد بالمغرب عالم الأرواح ومن هذا تفهم سر تسمية هذا الكتاب وفيها (فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب) فقوله (عديم) هو ما شرحته وما يأتى فى أول البيت الذى بعد هذا فى قوله (مذاقا) يقوى ما قلت والله أعلم. وفى كتب وتحقيقات سيدى محيى الدين رضى الله عنه إعطاء سيدنا الصديق مقامه العالى وخلاصته أنه ما بين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدنا أبى بكر رجل . وفى شرح سيدى محيى الدين للمقامات : ومنها مقام القربة وأنه بعد الصديقية ذكر حصول سيدنا الصديق على هذا المقام فالمهم جدا أن تتسع خطوة المؤدب فى طريق القوم ويمتد نظره فى فهم الحقائق الغريبة فإن لهم فى كل مقام مقالا وفى كل مجال رجالا .

مذاقا ولكن العقول مشاهد إلى كل ما يبديه وهو كتوم

قوله (مذاقا) مرتبط بالبيت السابق على ما شرحته هناك - قوله (مشاهد) أى حظ العقول من تحقيق الختمية مجرد إنتظار لما يظهره الختم من أسراره - قوله (وهو كتوم) أى يمنح السر من لا يصلح له .

يغار على الأسرار أن تلحق الثرى وأن تمتطيها الزهر وهى نجوم

قوله (يغار) أى الختم - قوله (الثرى) أى التراب والمراد السفل - قوله (وأن تمتطيها) أى تتخذها مطية . والزهر : النجوم والمراد من البيت أن الأسرار علوية لا ينالها إلا الأعلون .

فإن أبـــدروا أو أشمسوا فوق عرشه وكـــان لهـــم عند المقـــام لـــزوم

قوله (فإن) هكذا فى الديوان وبعض النسخ. وفى نسخ أخرى فـــإذا والأول أظهر - قوله (أبدروا أو أشمسوا) أى هؤلاء المحبون لكشف ســـر الختـــم إن حصل لهم التجلى البدرى أو التجلى الشمسى . والتجليات مشاهد كشـــفية لكل منها علوم خاصة معروفة عند القوم فى اصطلاحاتها - قولـــه (عرشـــه) هكذا فى ديوان الشيخ وفى بعض النسخ وهو المفهوم بخلاف ما فى بعض النسخ من لفظ (حرشه) والضمير فى عرشه الظاهر عودته على الختـــم أى فى علـــو مرتبته - قوله (وكان لهم عند المقام لزوم) الظاهر أن المراد المقام الإبراهيمـــى عند الكعبة إشارة إلى تحققهم بالتجليات الذاتية ويشير لفظ (لزوم) إلى ذلك. وهذا البيت شرط لما يأتى فى البيت الذى بعده .

فربتما يبـــدو عليـــهم شـــهودها فمنهـــم نـــجوم للهـــدى ورجوم

هذا البيت تكملة لســـابقه . قولـــه (فربتمـــا) اعتمـــدت هـــذا اللفـــظ على ما فى ديوان الشيخ وبعض النسخ . وفى نسخ أخرى فربمـــا ولا ينتظـــم البيت - قوله (يبدو) أى يظهر - قوله (شهودها) الظاهر عودة الضمير علـــى الأسرار المذكورة فى الأبيات السابقة - قوله (ورجوم) الرجوم نجوم ترمى بهـــا الشياطين. وقد جاء فى نسخ أخرى لفظ (زحوم) بالزاى والأنسب ما هنـــا كما فى الديوان وبعض النسخ .

فســـبحان من أخفى عن العين ذاته ونـــور تـــجليها عليـــه عميـــم

الشطرة الأولى مفهومة وذلك للعزة الذاتية - تجليها (الضمير عائد على الذات)

قوله (عليه) لعل المراد على الختم .

ولكنـــه المرمـــود لا يـــدرك البسنا وكيـــف يـــرى طيب الحياة سقيم

لاحظ أولا أن هذا البيت هكذا فى نسخ بعد سابقه - وفى نسخ أخرى أتى قبل سابقه واعتمدت ما هنا والله أعلم .

قوله (ولكنه) فى بعض النسخ ولكن واعتمدت ما هنا - قولـــه (المرمـــود) اعتمدت هذا اللفظ لأنه ورد فى بعض النسخ (المرموز) وفى بعضها (المذمـــوم) فلجأت إلى لفظ (المرمود) ويكون من الرمد وهو المرض فى العـــين - قولـــه (البسنا) أى الضوء - قوله (سقيم) أى مريض .

فأشـــخاصنا خمس وخمس وخمســـة عليـــهم تـــرى أمر الوجود يقـــوم

ابتدأ الشيخ هنا بذكر الرجال الخواص بعلوم الكشف والأسرار وقد أفرد رضى الله عنه بابا بأول المجلد الثانى من كتابه (الفتوحات المكية) ذكر فى هذا البـــاب أصناف الرجال المعدودين ووظائفهم فى الوجود فمن هؤلاء ما ذكرهم هنـــا فى هذا البيت والرجوع إلى الباب أولى فى ذلك .

ومـــن قـــال إن الأربعـــين نهايـــة لهم فـــهو قـــول يرتضيـــه كليـــم

وإن شئت أخبر عن ثمان ولا تـــزد طريقـــهم فـــرد إليـــه قـــويم

فســـبعتهم فى الأرض لا يجهـــلونها وثامنـــهم عند النـــجوم لزيـــم

وهذه الأبيات أيضا فى ذكر أصناف الرجال أصحاب المناصب والوظـــائف فى الوجود ومنهم الأبدال والنقباء والنجباء والأفراد وشرح ذلك بالبـــاب الـــذى

ذكرته بالمجلد الثانى من الفتوحات المكية . وفى هذا الباب ذكر الختم الخاص المحمدى وذكر الختم العام العيسوى - والمهم أنه ذكر الأعداد المذكورة هنا فى هذه القصيدة فى الباب هناك وكذلك فى القصيدة التى بأول الباب وما دام ذلك فضل الله عليه فلا عجب ولا حرج .

وعند فنا خاء الزمان ودالها على فاء مدلول الكرور يقوم

هذا البيت مضطرب الألفاظ فى الطبعات الخاصة بالكتاب وبالديوان المنسوب للشيخ رضى الله عنه ففى بعض الطبعات (فعذر) بدلا من (وعند) وفى النسخ الأخرى (فيا خاء) بدلا من (فنا خاء) . وفى النسخ الأخرى (وجيمها) بدلا من (ودالها) . وأثبت ما هنا خروجا من التشتيت الحاصل من النساخ لهذا الكتاب .

وأمام هذا الاضطراب أردت الخروج بمعنى أرتاح إليه فرجعت إلى كتاب الفتوحات المكية للشيخ رضى الله عنه فى باب وزراء المهدى وذلك لما جاء فى هذا البيت من لفظ الزمان . وذلك لأن أخبار المهدى والدجال والنزول العيسوى مذكورة فى الأحاديث الشريفة وما جاء فى هذا البيت من لفظ خاء ، دال ، فاء ، فإن حساب الجمل ذكر لكل حرف عددا . وهذا الحساب لا يضر الرجوع إليه عند من يفهم أسرار الحروف والأعداد والارتباط بينها .

فأقول إن الشيخ رضى الله عنه ذكر هذا البيت وما بعده للإشارة إلى المهدى ووزرائه بعد ما ذكر أصناف الرجال فى الأبيات السابقة وآخر الزمان المذكور بخصوص أشراط الساعة ومنها خروج المهدى والدجال والنزول العيسوى هذه الآخرية الزمانية لا تخضع للفهم العددى المعروف فى الزمان لدى الناس . فإن الساعة وأشراطها غير مفهومة لغير أهل الفتح والكشف الكبير .

فأسير على ما قلت ويكون المأخوذ من هذا البيت هو الإشارة إلى المهدى وكروره أى ظهوره وقيامه بمهمته الكبيرة من قتل الدجال ونزول سيدنا عيسى عليه السلام وصلاته وراء المهدى وفى الباب الخاص بالمهدى ووزرائه بالمجلد الثالث من كتاب الفتوحات المكية . وجاء فى الباب قوله : وقد جاءكم زمانه وأظلكم أوانه وظهر فى القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية إلى آخر ما قال فى شرح القرون . وهذا سر كبير أيضا لا يفهم على ظاهره . وذكر أن إقامته خمس أو سبع أو تسع سنين تبعا لعدد وزرائه الخمسة أو التسعة كما هو فى الحديث الشريف بهذا النظام فى العدد .

وذكر في هذا الباب أيضا أن المهدى له ختمية الأولياء وذكر فى ذلك شعرا وهذا يدل على مرتبة الختمية التى شرحتها سابقا فانتبه .

مع السبعة الأعلام والناس غفل عليم بتدبير الأمور حكيم

أقول أولا إن لفظ (حكيم) هنا مذكور بدله فى النسخ الآخرى لفظ (حليم) وبناء على ما ذكرت فى شرح البيت السابق يكون المراد بالسبعة الأعلام فى هذا البيت وزراء المهدى على ما ورد فى الرواية . وقوله (والناس غفل) فإن خروج المهدى يأتى فجأة لإصلاح أحوال الناس ورد أمور الدين إلى أصلها الصحيح . والشطرة الثانية تفهم على هذا المعنى . وفى بعض النسخ (عليهم) بدل لفظ (عليم) ولا يضر فالمعنى مفهوم .

وفى الروضة الغراء سم غذائه وصاحبها بالمؤمنين رحيم

هذا البيت مختلف الألفاظ فى طبعات الكتاب . وما ذكرته هنا هو من الديوان

الكبير للشيخ رضى الله عنه - أما فى النسخ الأخرى فهناك لفظ (الخفراء) بدل (الغراء) وهناك (اسم) بدل (سم) وهناك (عداوته) بدل (غذائه) .

وعلى كل حال سأتبع معنى هذا البيت لما سبق فى البيتين السابقين والمراد بالروضة الغراء ما يقوم فى المدينة المنورة من عداء لمن يحاول الخروج على المهدى واستفدت هذا المعنى أيضا من الباب الخاص بالمهدى ووزرائه من المجلد الثالث من الفتوحات المكية .. فيكون معنى الشطرة الثانية أن صاحب الروضة الخضراء الشريفة رحيم بالمؤمنين الذين حررهم وأظهرهم المهدى . ويكون لفظ عداته من العداوة ويكون لفظ غذائه بالنسبة للفظ سم وعلى كل حال فالانتباه لهذه المعانى هنا ضرورى جدا .

ويختص بالتدبير من دون غيره إذا فاح زهر أو يهب نسيم

معنى هذا البيت راجع إلى ما سبق من خروج المهدى وأعماله الإصلاحية .

تراه إذا ناواه فى الأمر جاهل كثير الدعاوى أو يكيد زنيم

قوله (تراه) الضمير يعود على المهدى . قوله (إذا ناواه) أى ناوأه وعاداه وهذا يؤيد ما سبق فى قوله فى الأبيات السابقة (عداته) - قوله (زنيم) بمعنى لئيم معروف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها . والزنمة قطعة جلد متدلية من أذن البعير أو الشاة .

فظاهره الإعراض عنه وقلبه غيور على الأمر العزيز زعيم

معنى البيت يفهم من معنى البيت السابق . قوله (الأمر العزيز) أى مهمة

المهدى من إصلاح أحوال المسلمين وهو زعيم وقادر على تنفيذ ذلك .

إذا ما بقى من يومه نصف ساعة إلى ساعة أخرى وحل صريم

قوله (يومه) الضمير عائد على المهدى أيضا . واليوم المنسوب إليه زمان مطلق وسر من الأسرار لا يخضع للحساب الزمانى المعروف .

وكذلك قوله (نصف ساعة) وقوله (إلى ساعة أخرى) وتفهم ذلك مما سبق فى زمان ظهوره - قوله (وحل صريم) الصريم الليل أو الصبح وله معان أخرى فى المعاجم اللغوية . والظاهر أن المراد هنا انصرام الليل وظهور الصبح بدليل ما يأتى فى البيت الآتى فيكون المراد بالليل ظلمات الجهل والتأخر الدينى والمراد بالصبح ظهور العدل والحياة الدينية .

فيهتز غصن العدل بعد سكونه ويحيا نبات الأرض وهو هشيم

المعنى ظاهر بعد ربط هذا البيت بسابقه . قوله (هشيم) أى يابس .

ويظهر عدل الله شرقا ومغربا وشخص إمام المؤمنين رحيم

المعنى ظاهر وتابع لما سبق من آثار ظهور المهدى . قوله (رحيم) هذا اللفظ فى الديوان وفى نسخ من الكتاب . وفى نسخ أخرى من الكتاب (رميم) واعتمدت ما هنا والله أعلم . والمعنى ظاهر .

وتم صلاة الحق تترى على الذى به لم أزل فى حالتى أهيم

قوله (تترى) أى يتتابع نزولها . قوله (حالتى) تثنيته حالة أى بأسائى

وسروري وفرحي وترحي وذلك إشارة لكل الأحوال التي تمر عليه . قوله (أهيم) الهيام شدة الشوق .

وانتهت القصيدة وتعتبر كخطبة الكتاب المبدوءة بحمد الله فإنه قال بعد ذلك .

أما بعد . .

حمدا لله الذى تقدم والصلاة التى ختم بها الحمد وتم

ثم قال :

تدبر أيها الحبر اللبيب أمورا قالها الفطن المصيب

وحقق ما رمى لك من معان حواها لفظه الغذب العجيب

ولا تنظره فى الأكوان تشقى ويتعب جسمك القد الغريب

إذا ما كنت نسختها فمالى أروم البعد والمعنى قريب

المعانى:-

الحبر : العالم - القد : القامة واخترت هذا اللفظ من النسخ المختلفة فى إيراده - النسخة : المكتوب الجامع والإشارة إلى جمعية الإنسان الكامل وأدق ما فى هذه القصيدة هو هذا البيت . وعلى ضوء هذا البيت يجب أن يسلك الفطن النبيه فهو أصل كبير فى التحقيقات ومن اهتدى إلى ذوقه الدقيق استراح . ومن إشارات القوم فى ذلك (نظرك فيك يكفيك) وأيضا : وفيك يطوى ما انتشر من الأوانى . وسيأتى بعد من الكتاب ما يشير إلى ذلك .

** الفصل الثانى **

تبيين الغرض من هذا الكتاب

قال الشيخ رضى الله عنه : كنا قد ألفنا كتابا روحانيا وإنشاء ربانيا سميناه بالتدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية تكلمنا فيه على أن الإنسان عالم صغير مسلوخ من العالم الكبير فكل ما ظهر فى الكون الأكبر فهو فى هذا العين الأصغر . أقول : وذكر بعد ذلك محتويات كتاب (التدبيرات الإلهية) وهو مطبوع والحصول عليه للمحب ممكن . ويأخذ المحقق منه محاذاة الصورة النفسانية لما فى الكون من جماد ونبات وحيوان وسماوات وأفلاك وأرواح .

ثم انثنى الشيخ رضى الله عنه لذكر ما يريده فى كتابه (**عنقاء مغرب**) من تحقيق أخر فى الصورة الإنسانية وأين يكون من هذه النسخة الإنسانية والنشأة الروحانية مقام المهدى المنسوب إلى بيت النبى المائى والطينى . وأين يكون أيضا منها ختم الأولياء وطابع الأصفياء إذ الحاجة إلى معرفة هذين المقامين فى الإنسان آكد من مضاهاة أكوان الحدثان .

أقول :

اخترت ما نقلته هنا فى هذا الجزء بخصوص نسبة المهدى تخلصا من اضطراب النسخ المطبوعة . وهذا الإضطراب أمر مقلق والضرورى خروجى من تحقيق هذا الكتاب بصورة أرتاح إليها وآنس فيها نفس الشيخ رضى الله عنه فى تحقيقاته . وقد سبق ما يتعلق بالمهدى والختم .

ثم أتابع النقل من الكتاب . قال رضى الله عنه :

فليس غرضى فى كل ما أصنف فى هذا الفن معرفة ما ظهر فى الكون وإنما

الغرض معرفة ما وجـــد فى هـذا العـين الإنســانى والشــخص الأدمــى إلى أن قال شعرا :

فما أبـــالى إذا نفســى تســاعدنى على النجاة بمن قد فـــاز أو هلكـــا
فانظر إلى ملكك الأدنى إليك تجـــد فى كل شخص على أجزائه ملكـــا
وزنه بالعدل شـــرعا كـــل آونـــة واسلك به خلفه من حيث ما سـلكا
ولا تكـــن مـــاردا تســـعى لمفسدة فى ملك ذاتـــك لكن فيه كن ملكا

أقـــول : معانى القصيدة ظاهرة وتأخذ منها الدليل الواضح على تمسك الشيخ رضى الله عنه بالشريعة .

ثم قال رضى الله عنه : فليتأمل وليى هذا الكتاب فإنى أذكـــر الامر من العالم الأكبر وأجعله كالقشر وأجعل ما يقابله من الإنسان كاللبـــاب إلى أن قـــال : وسأورد ذلك إن شاء الله تعالى فى هذا الكتاب من لآلئ الأصداف ونواشـــى الأعراف التى هى أمثال نصبها الحق للمؤمنين والعارفين حبالة صـــائد وتحفـــة قاصد - ثم ساق من هذه اللآلئ التى أشار إليها فقال : فمن ذلك مفتاح حجـــة وإيضاح محجة : ذكر فى هذا الجزء إشارات من أعمال الحاج طالبـــا فيـــها أن يشعر الحاج بما فيه من القلب الذى هو بيت الرب على حد ما ورد فى الأخبـــار ثم ساق قصيدة دقيقة هى :

أقول وروح القدس ينفث فى النفس بأن وجـــود الحـــق فى العـــدد الخم

أقـــــــول شارحا للصعب :

قوله (روح القدس) ملك الإلهام للأولياء - قوله (ينفـــث) النفـــخ بـــدون ريق - قوله (الخمس) لعل المراد الإشارة من العدد خمسة فهو يحفظ الواحـــد والثلاثة [أوتار] . والإثنين والأربعة [أزواج] فهى فى ضمنه ويكون المراد أن

الحق جل شأنه وجوده ذاتى له محفوظ وتفضل بخلق الخلق كثرة وذلك المشـــار إليه بالوترية والشفعية - أو يكون المراد بالعدد الخمس حرف الهـــاء كمـــا فى حساب الجمل وهو معتمد عند المحققين ويكون المراد هوية الحق والله أعلم .

ثم قـــــــــال :

أيـــا كعبة الأشهاد يا حرم الأنس ويا زمـــزم الآمال زم على النفـــس

الإشارة فى البيت إلى الإنسان المعبر عنه بـــالبيت فى الأذواق . ولعـــل المـــراد بالأشهاد الحقائق التى تنظر إلى القلب الذى وســـع الرب ومن صفة هذا القلب الإنسانى أنه حرم أنس وشهود للحق جل شأنه .

ويخاطب هذا القلب أيضا بأنه ينبوع تتفجر منه المشاهد التى تتناسب مع المـــاء كما هو معروف عند القوم من مشاهد تناسب اللبن والخمر والعسل المصفـــى وذلك مذكور فى وصف الجنة فى كلام الله فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم.

وأقـــــــــول راجيا :

لا بد للمطلع على شرحى هذا أن يعلم أن أذواق القوم وعلومهم تخصـــهم . وذكر فى البيت لفظ الآمال والإشارة إلى أنواع من المشاهد والمناجاة التى تحصل للعبد السالك ولفظ زم لعل المراد المحافظة على هذه المشاهد ومعنى الزم فى اللغة يحتمل هذا الشرح والله أعلم . ويكون المراد بلفظ النفس نفس المشاهد .

ثم قـــــــــال :

سرى البيت نحو البيت يبغى وصاله وطهر بالتحقيق من دنـــس اللبـــس

(البيت) اللفظ الأول إشارة إلى قلب العبد الحقانى . واللفظ الثانى إشارة إلى

الكعبة وذلك مشهد ذاتى فى أذواق القوم - قوله(وطهر) أى القلب - قوله (الدنس) أى الوسخ - واللبس هو الشك .

ثم قال :

فيا حسرتى يوما ببطن محسر وقد دلنى الوادى على سفر الرجس

قوله (فيا حسرتى) الحسرة أشد التلهف على الشىء الفائت - وبطن محسر بكسر السين موضع وواد بمنى وقيل بين المزدلفة ومنى لا يتخلص لواحدة منها ومقداره خمسمائة ذراع وخمسة وأربعون ذراعا وفى المناسك أنه إذا مر عليه الحاج أسرع قدر رمية حجر لأنه موقف النصارى أى أصحاب الفيل فى الحادثة المعروفة فقوله (وقد دلنى الوادى) يكون منه وادى محسر . وسقر هى جهنم. والرجس معناه القذر فتفهم الشطرة الثانية من البيت على ما جاء فى شرح بطن محسر .

ثم قال :

تجرعت بالجرعاء كأس ندامة على مشهد قد كان منى بالأمس

قوله (تجرعت) بمعنى شربت - قوله (الجرعاء) الأرض الرملية ولعله يشير إلى مشهد جلالى غير مؤنس ويفهم هذا من قوله (كأس ندامة) وأما الشطرة الثانية فتشير إلى مشهد شهده الشيخ وهو أدرى به .

ثم قال :

وما خفت بالخيف ارتحالى وإنما أخاف على ذى النفس من ظلمة الرمس

قوله (بالخيف) الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن سيل الماء ومنه مسجد الخيف بمنى والحجاج يصلون بهذا المسجد - قوله (ارتحالى) لعله يريد الإنتقال بالموت . وأخذت هذا الشرح من الشطرة الثانية وفيها أن الشيخ رضى الله عنه : -

يخاف على صاحب النفس البعيد من الله من ظلمة الرمس أى القبر والله أعلم .

ثم قال :

لمزدلف الحجاج أعملت ناقتى لأنعم بالزلفى وألحق بالجنس

قوله (لمزدلف) المزدلفة موضع معروف يترله الحجاج بعد نزولهم من عرفات. قوله (لأنعم بالزلفى) أى بالقرب - قوله (وألحق بالجنس) أى الأكابر من أهل الله .

ثم قال :

جمعت بجمع بين غيبى وشاهدى بوترين لم أشهد به رتبة النفس

قوله (جمعت) ما يحصل بالمزدلفة بالجمع بين المغرب والعشاء جمع تقديم بعد النزول من عرفات - وتسمى المزدلفة بالجمع - قوله (غيبى) لعل الإشارة إلى صلاة المغرب والغيب بطون الإنسان ويكون قوله (وشاهدى) يراد به صلاة العشاء والشاهد ظاهر الإنسان - قوله (بوترين) لعل المراد وترية ركعات المغرب وعدم شهود النفس المذكور فى الشطرة الثانية فى البيت . وعدم رؤية النفس شهود الواحد جل شأنه والله أعلم .

ثم قـــــــــال :

خلعـــت الأمانى عندما كنت فى منى وطوقتبـــها فانظـــره بالطرد والعكس

قوله (خلعت الأمانى) أى خلعت النظر إلى غير الله وآلحظ قولـــه الأمـــانى ومناسبته للفظ منى - وقوله (وطوقتها) أى لبستها - وقوله (فانظره بـــالطرد) أى أن الخلع المذكور محمود ومطلوب - وقوله (والعكس) أى الأمانى عـــادت محمودة عند شهود الغير به جل شأنه والله أعلم .

ففى الجمرات الغر فى رونق الضحى حصبت عدو الجهل فآرتد فى نكس

قوله (الجمرات) هى الحصيات التى ترمى فى منى كما هو مشروع بمناســـك الحج - قوله (الغر) بمعنى الحسن هنا كما فى معاجم اللغة - قولـــه (رونـــق الضحى) بمعنى الحسن والنور - قوله (حصبت) أى رميت - قولـــه (عـــدو الجهل) كما جاء فى معنى رمى الجمار - قوله (نكس) أى رجوع وهزيمة .

صفيت على حكم الصفا عن حقيقتى فما أنا من عرب فصـــاح ولا فرس

قوله (صفيت) هذا اللفظ مضطرب بالنسخ المطبوعة واخترت ما هنا على أنـه مأخوذ من التصفية استنادا إلى لفظ الصفا ولعله يريد جبل الصفـــا المعـــروف بمناسك الحج - قوله (عن حقيقتى) أى سر وجودى ويكون المراد من الشـــطرة الأولى كلها خلصت فلم أقف على العلم بحقيقتى لعزتها . ويشير فى الشـــطرة الثانية إلى ذلك بقوله (فما أنا من عرب فصـــاح) أى إدراك هـــذه الحقيقـــة لا ينال بالكلام لعزتها . ولا ينال أيضا بالسكوت وهو ما أشار إليـــه بقولـــه (ولا فرس) أى عجمة وعدم إفصاح .

ثم قـــــــــال :

ركنت إلى الركن اليمانى لأن فى آســـ ـــتلام اليمانى اليمن فى جنة القدس

قوله (الركن اليمانى) أحد أركان الكعبة وله خصوصيـــة مشـــروحة فى أداء الطواف - وقوله (اليمن) بمعنى البركة . والمعنى بعد ذلك ظاهر .

ثم قـــــــــال :

أقمـــت أناجـــى بالمقـــام مهيمـــنا تعالى عن التحـــديد بالفصل والجنس

قوله (بالمقام) أى مقام سيدنا إبراهيم وهو حول الكعبة ومن مناسك الحـــج الصلاة خلفه بعد الطواف - قوله (مهيمنا) من أسماء الله جل شـــأنه بمعـــنى الرقيب على كل شـــىء - قولـــه (الفصـــل) أى الشـــىء المفصـــول عـــن غيره - قوله (والجنس) هو الضرب من الشىء وهو أعم من النوع .

ثم قـــــــــال :

فشـــاهدته فى بيعـــة الحجـــر الذى تسود من نكث العهود لدى اللمس

قولـــه (بيعـــة الحجـــر) أى اســـتلام الحجـــر الأســـود المعـــروف فى الكعبة - وقوله (تسود) من السواد وهو اللون المعروف-قوله (نكث العهود) أى مخالفتها وذلك مشهود لدى المكاشفين - قوله (اللمس) أى الاستلام باليد أو بالتقبيل .

ثم قـــــــــال :

وبالحجر حجرت الوجـــود وكونه على فلا يغـــدو الزمـــان ولا يمسى

قوله (وبالحجر) لعله يريد حجر إسماعيل وهو المكـــان المعـــروف بجـــانب الكعبة - قوله (حجرت الوجود وكونه على) إشارة إلى شهود قيـــام العبـــد بوجود ربه - قوله (فلا يغدو الزمان ولا يمسى) أى أن الحساب الزمانى مـــن صباح ومساء أصبح غير ملحوظ لدى هذا المشاهد .

ثم قـــــــــال :

وفى عرفـــات قال لى تعرف الذى تشـــاهده بين المهـــابة والأنـــــس

قوله (المهابة) التعظيم وهو مشهد جلالى - والأنس :.بمعنى الارتيـــاح وهـــو مشهد جمالى .

ثم قـــــــــال :

فلما قضـــيت الحج أعلنت منشـــدا بســـيرى بين الجهر للذات والهمس

قوله (منشدا) بمعنى التصريح بالحقيقة - قوله (بسيرى بين الجـــهد للـــذات والهمس) بمعنى أن إنتاج أعمال الحج معروفة بالله جهرية فى حضـــرة الأسمـــاء والصفات وآثارها . ومعرفة همسية أى عدم إدراك الذات لعزتها . والله أعلم.

ثم قـــــــــال :

ســـفينة إحســـاس ركبت فلم تزل تســـيرها أرواح أفكـــاره الخـــرس

قوله (سفينة إحساس) المراد الجسم - قولـــه (أرواح) جمـــع ريـــح كمـــا فى المعاجم اللغوية - قوله (أفكارها) هكذا بنسخة أعتقد صحتها . وبنســـخ أخري أفكاره . وما اعتمدته فالضمير راجع إلى الرياح المذكـــورة هنـــابلفظ الأرواح - قوله (الخرس) إشارة إلى العجز وعدم الإفصاح عن كنهية الـــذات

وعزتها .

ثم قـــــــــال :

فلمـــا عـــدت بحر الوجـــود وعانيت بسيف النهى من جل عن رتبة الإنس

قوله (فلما عدت) أى تجاوزت مشاهدة الصور الكونية . والضمير فى عـــدت عائد على قوله (سفينة إحساس) - قوله (بسيف) بكسر السين ساحل البحر والمراد تخطى الصور الكونية لمشاهدة الحق جل شأنه - قولـــه (النـــهى) أى العقول المنورة بنور الله - قوله (جل) أى عظم - قوله (والإنس) يظـــهر لى أنها بكسر الهمز ويكون المراد المخلوقات - وإن قلت بضم الهمزة يكون المراد تعالى الحق أن يأنس به أحد لعزته .

ثم قـــــــــال :

دعـــانى به عبـــدى فلبيت طائـــعا تأمل فهذا القطف فوق جنى الغرس

قوله (به) الظاهر عودة الضمير على المشهد الحقانى المشار إليه بآخر البيـــت السابق - قوله (عبدى) أى يا عبـــدى - قولـــه (فلبيـــت) أى أجبـــت واستمعت- قوله (تأمل) إشارة إلى قول الحق لمـــا نـــادى عبـــده فى هـــذا المشهد - قوله (القطف) هذا اللفظ بالديوان الكبير للشيخ رضى الله عنـــه . وبنسخ الكتاب المطبوعة (الفتح) واخترت ما فى الديوان لقوله (فوق جـــنى الغرس) والجنى هو الثمار . والغرس هو الزرع أى أن ما شهده هـــذا العبـــد المقرب فوق ما يتصور من المشاهد العامة . وهنا لا مـــانع أن يكـــون لفـــظ (الفتح) صحيحا أيضا .

ثم قـــــــال :

فعـاينت موجـودا بلا عين مبصر وسرح عينى فانطلقت من الحبـس

قوله (بلا عين مبصر) أى أن شهوده جل شأنه لا يكون بعين البصر المقيدة . وتحقيق الشهود والرؤية سر دقيق ليس هنا الاتساع فى شرحه - قوله (وسـرح عينى) الظاهر أن المراد أن الحق غيب هذا العبد عن شهود جسمه فانطلق مـن حبس البشرية . وهذا مفهوم بقدر وسعى وأذواق القوم تخصهم .

ثم قـــــــال :

فكنت كموسى حين قال لـربه أريـد أرى ذاتا تعالت عن الحـس

المعروف فى كلام الله فى سورة الأعراف طلب سيدنا موسى عليه السلام رؤيـة ربه وشرحها فى التفاسير ولا أرى التعرض هنا لسر هذه الآية وهـذا الطلـب الموسوى . والمهم هنا أن سيدى محيى الدين رضى الله عنه يشير إلى وراثة هـذا المقام الموسوى ولا مانع من ذلك وتفصيله فى كتب القوم . وقوله (تعالت عن الحس) هذا هو المفهوم فى العزة الذاتية والحس هو الأكوان الظاهرة .

ثم قـــــــال :

فـدك الجـبال الراسـيات جـلاله وأصعق موسى فاختفى العرش والكرسى

هذا البيت تتمه لما ورد فى البيت السابق بخصوص المكالمة الموسوية وطلب الرؤية وهذا وارد كما قلت بسورة الاعراف فى القرآن الكريم . والجلال هو العظمة . قوله (وأصعق موسى) المعنى مفهوم . وفى النسخ المطبوعـة مـن الكتـاب (وغيب موسى) والمعنى مفهوم أيضا - قوله (فاختفـ ـعـرش والكرسـى)

فى النسخ المطبوعة الأخرى من الكتاب (فاختفى العرش فى الكرسى) وعلـى كل من اللفظين فالمعنى واحد والعرش والكرسى حضرتان إلهيتان لا يدركان من حيث الكنه . فلا يصح السؤال عن الاسـتواء علـى العـرش ولا الجلـوس على الكرسى .

ثم قـــــــال :

وكـنت كخفـاش أراد تمتعـا بشمس الضحى فانهد من لمحة الشمس

قوله (كخفاش) حيوان قادر على الطيران ولا يطير إلا بالليل لضعف بصـره بالنهار وبقية البيت معناه ظـاهر والإشـارة إلى عجـز الكـل عـن إدراك كنه الذات .

ثم قـــــــال :

فـلا ذاتـه أبقى ولا أدرك المـنى وغودر فى الأموات جسما بلا نفس

المعنى ظاهر من البيت السابق .

ثم قـــــــال :

ولكننى أدعى على القرب والنـوى بلا كيـف بالبعـل الكريم وبالعرس

قوله (النوى) أى البعد - قوله (بلا كيف) أى بلا تحديد - قوله (بـالبعل الكريم) المراد هنا الزوج أى الرجل وإن كان يطلق على المرأة أيضـا - قولـه (وبالعرس) المراد هنا الزوجة . والإشارة فى ذلك والله أعلم بمـراد الشـيخ رضى الله عنه على ما فهمت من اصطلاحات القوم بالبعل أى الرجل إشـارة

إلى الروح . والإشارة بالعرس إلى النفس . ويكون مراد الشيخ رضى الله عنه الإشارة إلى جمعيته الشاملة وهو ما سبق من تحققه رضى الله بالختمية . وانتهت القصيدة .

ثم قال بعدها فى الكتاب :

فمن لم يكن قصده هذه المحجة و لم تصح له هذه الحجة فهو فى حصر الأين فاسلك يا أخى على هذا الطريق وقل الرفيق الرفيق . ويكفى ذلك هنا . ثم ذكر رضى الله عنه جزءا آخر بعنوان [ومن ذلك تنزل روح أمين بإشراق صبح مبين] .وسأنقل من هذا الجزء ما أرى صحته فإن وجدت فى طبعات هذا الكتاب اضطرابا وسأختصر ما أنقل بدون إخلال بمفهوم الكتلب .

أقول ناقلا عن الشيخ رضى الله عنه :

ولما هزم الصبح جيوش الليل وأوجف عليه بسوابق الخيل وحصل الجسم والرسم فى قبضة العين والاسم وأعتقه من رق كونه وألبسه رداء صونه ومنحه مشاهدة عينه فى أى وجهة كان من أينه عند ذلك سألنى رجل من أهل تبريز وممن يقول بدولة العزيز وينكر سقوط التمييز عن أسرار أشراط الساعة وأماراتها وحقائقها وإشاراتها من طلوع الشمس من مغربها وروحانية مقصدها ومذهبها وإغلاق باب توبة وإبقاء ذلة وحوبة وتكليم ونفخ دابة ونزول مسيح وخسف جيش بمهامه فيح وملحمة عظمى وفتح مدينة كبرى بتكبير وتهليل على مقتضى السنة لا بالمرهفات البيض ولا بزرق الأسنة وختم ولاية وروضة خضراء وسر نبوة ومحجة بيضاء ومن خرج من مقامه إلى مقام أنزل فصح له به الشرف الأكمل وخروج دجال لا يعيا وقتيل له يموت ويحيا . وقال لى أريد منكم أن تبينوا لى أين أسرار هذه الاكوان فى نشأة الإنسان فإن أريد أن أجعلك

لشيطانى شهابا رصدا وأتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا . فقلت له واين فتاك وقوتك وهل اتخذ فى البحر سربا حوتك فقال لولا ما اتخذ حوتى سربا ما وجدت لك سببا ولولا فتائى ما حملت غذائى . فقلت له ستلحق بمقامك وتتأخر وإذا وقع ذلك حينئذ تخبر ثم قلت له وهل نسيت الحوت فارتددت قصصا على أثرك لتعرف حقيقة خبرك فقال كل ذلك قد كان . تعب من أخذ علمه عن الأكوان فقلت له أو بشرك الحق بأنى صاحب الرحمة والعلم فأبشر بأنك صاحب الغلظة والذم لأنى فى العين وأنت فى الكم والأين فأنت فى ملكك رئيس وفى سجن عالم شهادتك حبيس وأنا فى ملكى علق نفيس وصاحب صنعة لبوس فقال إنى أتيتك قصدا فعلمنى مما علمت رشدا فقلت إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا فقلت فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا .

أقول :

ما ذكره الشيخ هنا إشارات من قصة الخضر وموسى وهى بسورة الكهف والمعانى فيها ظاهرة - قوله (علق نفيس) العلق الشىء الغالى ثم تابع الشيخ رضى الله عنه فقال :

(وصف حال بعد حل وترحال) ثم قلت له يا سيدى صان الله أنوار شيبتك وحفظ عليك متاع عيبتك أريد أن أعرفك قصتى فتكون لك سلما إلى منصتى عسى يقل إنكارك ويحسن إن وقع منك اعتذارك فإن الذى سألت عنه من هذه الأسرار المصونة عن ملاحظة الأنوار فكيف بعالم الأفكار ولا يصلح فى كل وقت إفشاؤها ولا يصح بأى نفخ كان بعثها وإحياؤها فإن نبأها عظيم

وشيطان منكرها رجيم وإن كان بعض ما سألتنى عنه لم أعرج عليه ولا طلبته منه فإن الطريق الذى سلكت عليه والمقام الذى طلبته وانفردت إليه الذى هو مقام فردانية الأحد ونفى الكثرة والعدد لا يصلح معه التعريج على كون ولا يقبل منه إلا ما تحققه عين . ولما لم تتعلق بحوادث الكون همتى ولا تشوفت إليها كليتى كان الحق سبحانه وجهتى ونزهتى عن ملاحظة جهتى فكنت لا أشهد أينا فكيف أبصر كوّنا أهـ أقول : قوله (عيبتك) هى حافظة المتاع - قوله (منصتى) المنصة كرسى ينصب للجلوس عليه لخطيب أو عروس .

ثم تابع الشيخ رضى الله عنه فقال :

(حكمة تعليم من عالم حكيم) ثم لما رأيت السائل عن تلك الأسرار تحركه دواعى الإنكار فأعرضت عنه إعراض معلم ناصح وصرفت وجهى وجهة الحق الذي بيده المفاتح من جهة المقام الذى يعقله وسددت الباب الذى ينكره ويجهله حتى يتمكن فى مقام السمع ويتحقق بحقيقة من حقائق الجمع . وقمت إلى الحق ملبيا وله مناجيا أعد على سوابغ نعمه وأسمع السائل أسرار حكمه وكأنى لا أقصد بذلك تعليما وهكذا يفعل من صيره الحق حليما فإن البيوت لا تؤتى إلا من أبوابها والملوك لا يدخل عليها إلا بإذن حجابها وذلك إنى إن أبديت له الأسرار كفاحا وجد قلبه لذلك سراحا فسرح فى عالم التجسيم سر فكره واستولى على قلبه سلطان نكره فصير نوره نارا وقراره بوارا فالحكيم المطلق إذا أخذ مع من هذه صفته فى مناشدة الحق وأعرض عن جميع الخلق بهره المقام وقطع الأوهام وغاب عن الأجسام أى استسلم ووقعت النكتة فى قلبه فقادته إلى معرفة ذاته وربه فأعرضت عنه لهذه الحكمة وأنشدت وبحت ببعض

ما وجدت نعلمه فيه أن السلوك بجذب الحق وداعيه وبره سبحانه بالعبد وتحفيه فلعله يتنبه ويعيه (نكتة شعرية ومخاطبات قدسية) .

قلبى بذكرك مسرور ومحزون لما تملكه لمح وتلوين

شرح الصعب :-

قوله (مسرور ومحزون) سرور تحت تجلى الاسم الباسط . ومحزون تحت تجلى الاسم القابض - قوله (لمح) لعله يريد الشهود - قوله (وتلوين) اتساع شهود التجليات المذكورة سابقا .

ثم قال :

فلو رقت فى سماء الكشف همته لما تملكه وجد وتلوين

قوله (وجد) أى حركات الحب والعشق - قوله (وتلوين) لعله يريد الوقوف مع المشاهد دون المشهود .

ثم قال :

لكنه حاد عن قصد السبيل فلم يظفر به فهو بين الخلق مسكين

قوله (حاد) أى مال - قوله (قصد السبيل) أى اعتداله والسبيل هو الطريق .

ثم قال :

حتى دعته من الأشواق داعية أضحى بها وهو مغبوط ومفتون

قوله (داعية) حركة - قوله (أضحى) أى صار - قوله (مغبوط) أى يغبطه غيره لينال مثل ما نال من رضا الله - قوله (ومفتون) أى مختبر هل يحفظ

ما أعطاه الله شاكرا لله .

ثم قـــــــال :

وأبرقـــت فى نـــواحى الجـــو بارقة همت لها نـــحو قلبى ســـحبه الجون

قوله (وأبرقت) من البرق المعروف ويراد به هنا الأنوار السريعة التى تشع على قلب هذا السالك المحب - قوله (همت) أى أمطرت - قوله (سحبه) جمـــع سحاب - قوله (الجون) جمع جون وهو من الأضداد أسود أو أبيض ويكـــون المراد السحاب الأبيض الحامل لأمطار التجليات التى تنزل على قلب هذا المحب.

ثم قـــــــال :

فالســـحب ســـارية والريـــح ذارية والبـــرق مختـــطف والماء مســـنون

معنى البيت عائد على سابقه من توالى نزول التجليات على هـــذا الســـالك . وسريان السحب تحركها . والريح الذارية هى المتحركة وحركتها مرتبطـــة بأحوال السالك كسريان السحب . وكذا البرق ونسبة الخطف إليه - والمـــاء المسنون هو المتغير - وظهر لى والله أعلم أن التجليات المشار إليها بما فى هـــذا البيت جلالية فنائية .

ثم قـــــــال :

وأخرجت كل ما تحويه مـــن حسن أرض الجســـوم وفاح الهند والصين

قوله (أرض الجسوم) إشارة إلى ما سبق من السحب وما يظهر من التجليـــات على الصورة ووصفها بالحسن - قوله (وفاح الهند والصين) لعل المراد روائح

عطرة تنسب إلى البلدين المعروفين .

ثم قال الشيخ رضى الله عنه بعد القصيدة :

فلما سمع السائل وصف حالته وسبح بدر سره فى دار هالته وتنبه لما أخفى فيـــه وأبرزت له نبذة من معانيه ورأيته قد أصغى إلى بكليته وخرج عـــن ملاحظـــة نفسيته صرفت وجهى إليه وهو فان فيما أوردته ومتعطش للزيادة مما أنشـــدته وطلب منى الزيادة بحاله فزدته (تماميات بيت) .

فمـــا ترى فوق أرض الجسم منقبة إلا وفيهـــا من الأنـــوار تـــزيين

قوله (أرض الجسم) أى الصورة السالكة - قوله (منقبة) أى الصفة الحســـنة والمراد السلوك الصحيح . والشطرة مفهومة المعنى على هذا .

ثم قـــــــال :

وكل مـــا لاح فى الأجسام من بدع وفى الســـرائر معـــلوم ومـــوزون

قوله (بدع) أى شىء مستحدث - قوله (السرائر) أى البطون الروحى .

ثم قـــــــال :

والقـــلب يلتـــذ فى تقليب مشهده بكـــل وجـــه من التـــزيين ضنـــين

قوله (تقليب مشهده) أى اختلاف التجليات عليه- قوله (التزيين) لعل المراد ما يستحسنه من المشاهد - قوله (ضنين) أى متمسك ومتحفظ .

ثم قـــــــــال :

والجســـم فلك ببحر الجود تزعجه ريح من الغرب بالأسرار مشـــحون

قوله (فلك) أى السفينة - قوله (ريح من الغرب) لعل المراد الأسرار الذاتيـة وهذا ما أفهمه من الغرب فى اصطلاح القوم .

ثم قـــــــــال :

وراكـــب الفلك ما دامت تسـيره ريح الشـريعة محفـوظ وميمـون

قوله (وميمون) أى محمود وانظر فى هذا البيت مدى تمسك الشيخ رضـى الله عنه بالشريعة .

ثم قـــــــــال :

ألقـى الرئيـس إلى التوحيد مقدمه وفيـه للمـلأ العلـوى تأمـين

قوله (الرئيس) لعل الإشارة إلى الروح - قوله (مقدمه) أى رسوله ليجـود التوحيد على الروح بغذائها وحياتها - قوله (وفيه للملأ العلوى تأمين) الملأ العلوى هو عالم الأرواح وحصول التأمين والاطمئنان العلوى هو بالتوحيد .

ثم قـــــــــال :

فلـو تراه وريـح الشـوق تزعجه يجرى وما فيه تحريـك وتسـكين

قوله (فلو تراه) الضمير يعود على قلب السالك - قوله (يجرى وما فيه تحريك وتسكين) يجرى أى الروح فى شهوده التوحيدى دائم ثابت فطرى لا ينسـب إليه أى قيد من حركة أو سكون .

ثم قـــــــــال :

إن الأوائـل فى الإنسـان مـودعة نـور ونـار وطـين فيه مسـنون

قوله (الأوائل) المراد العناصر التى تتركب منها الأجسام وجـاء فى الديـوان الكبير للشيخ رضى الله عنه لفظ العناصر بدل لفظ الأوائل فصح معنى البيت . والشطرة الثانية إيضاح لهذه العناصر - قوله (مسنون) أى متغير .

ثم قـــــــــال :

وأودع الوصـل ما بينى على كثب وبـين ربـى مفـروض ومسنون

تقدير البيت : إن الوصل قريب وهو مودع بينى وبين ربى . والوصـل علـى درجات فالمفروض قرب الفرائض والمسنون قرب النوافل فلفـظ (كثـب) بمعنى قرب .

ثم قـــــــــال :

فالسر بالله من خلقى ومن خلقى إذا تحققـت موصـول ومـمنون

قوله (فالسر بالله) أى ارتباط سر وجودى بالله - قوله (من خلقى) وذلـك بنفخ الروح فى . قوله (ومن خلقى) أى صفاتى الإمكانية وهذا الشرح بقدر استطاعتى والله أعلم بمراد الشيخ رضى الله عنه - قوله (موصول) عائد علـى نفخ الروح فى - قوله (وممنون) بمعنى متطوع لتنزه الحق جل شأنه عن صفـات الإمكان .

ثم قـــــــــال :

يقـــول إنى قلب الحـــق فاعتـــبروا فإن قلـــب كتـــاب الله يـــس

قوله (يقول) أى الإنسان الكامل - قوله (كتاب الله) المراد الوجود الجـامع الإلهى - قوله (يس) السورة المعروفة فى القرآن وفى هذا ورد حديث شريف . والإشارة إلى الإنسان الكامل .

ثم قـــــــــال :

من بعد ما قد أتـــى من قبل نفخته على من دهـــره فى نشـــأتى حـــين

الكلام فى البيت على الإنسان المذكور فى البيت السابق . وهنا فى هذا البيـــت يشير الإنسان إلى ما ورد فى حقه فى سورة الإنســـان فى القـــرآن الكـــريم . قوله (من قبل نفخته) أى حين ما كان الإنسان فى حضرة العلم الإلهى قبـــل إظهاره فى الوجود. وقوله هنا (قد أتى) تفسير لأول الآية المذكورة .

ثم قـــــــــال :

لا يعـــرف الملك المعصـــوم ما سبى ولا اللعـــــين الذى ينـــكيه تـــبيين

قوله (الملك المعصوم) أى الملائكة والمعنى يفهم من جعل الإنســـان خليفـــة فى الأرض وما كان من الملائكة فى هذه المسألة وانظر ذلك فى القرآن الكـــريم فى سورة البقرة - قوله (ولا اللعين) المراد إبليس فى إبائه عن السجود لأبينا آدم عليه السلام - قوله (ينكبه) يقتله ويجرحه - قوله (تبيين) أى إظهار مرتبـــتى وشرفى .

ثم قـــــــــال :

لما تســـترت عن صلصـــال مملكتى أخفـــان عن علمـــه فى غينه الطين

قوله (لما تسترت) القائل الإنسان الكامل فيقول : لما وقفت على حقيقتى التى هى بطون صورتى الطينية وتسترت بها لم يهتد جسمى إلى علم ذلك . وبهـــذا يفهم المراد من البيت كله - قوله(غينه) أى ظلامه .

ثم قـــــــــال :

فكـــان يحجبـــه عـــنى وعن صفتى غيـــم العمـــى وأنا فى الغيب مخزون

قوله (يحجبه) الضمير عائد على الطين . وبقية المعنى يفهم على ذلك .والمراد بالغيب علم الله والوقوف على حقيقتى .

ثم قـــــــــال :

فعنـــدما قمت فيه صـــار مفتـــخرا يمشـــى الهـــوينا وفى أعطـــافه لين

الضمير فى فيه يعود على الجسم أى بعد رجوعى إلى صورتى الطينية فى مقـــام البقاء بعد الفناء زها الجسم وافتخر وتبختر وهر عطفيه . والعطـــف جـــانب الإنسان من لدن رأسه إلى وركه .

ثم قـــــــــال :

لما ســـرى القلب للأعلى وجاز على عـــدن وغازلتـــه حـــور بها عـــين

قوله (سرى) الســـرى هـــو الســـير ليـــلا - قولـــه (للأعلـــى) أى ذات الحق - (وجاز) أى مر - قـــوله (عدن وغازلته حور بها عين) أى جنة عدن

وما فيها من الحور العين . وبقية المعنى يفهم من البيت الآتى وهو قوله :

غض الجفون ولم يثن العنان لها لما مضى عن هواه الفرض والدين

المعنى أنه لم ينظر إلى الحور العين ولا غيرها من النعيم الجزائى حيث أنه تفرد لشهود ما هو أعلى فى الحضرات الإلهية - قوله (لما مضى عن هواه الفرض والدين) أى لم يقف فى حضرة التكليف على مفهوم العوام بل صار بالله يقوم ويعمل وهذا مشهد صحيح عند القوم - وقوله (العنان) هو ما تقاد به الدابة وانتبه للإشارة فى ذلك .

ثم قال :

فعندما قام فوق العرش بايعه اللوح والقلم العلام والنون

قوله (فعندما قام فوق العرش بايعه) العرش هنا ليس المراد به عرش الرحمن فإنه لا شركة لمخلوق أبدا فى الحضرات الإلهية وإنما العرش هنا مرتبة فى الشهود عالية يعبر عنها بهذا - وفى جمعية الإنسان الكامل ما يصلح لتجلى الأسماء والحضرات الإلهية . وعلى كل حال فمثل هذه العلوم لا تنال بالعقل فارجع إلى السلوك مع الملوك لعلك تذوق مما ذاقوا والله الهادى وهو وحده المطلوب - قوله (اللوح والقلم العلام) لطائف إلهية لا تدرك بالعقل وجاءت بها الأخبار النبوية - قوله (والنون) فى اصطلاح القوم الدواة التى يأخذ منها القلم وذلك ليس كالمفهوم فى الدواة والقلم المخلوقين . والدواة لفظة عربية صحيحة كذا فى المعاجم اللغوية .

ثم قال :

فلو تراه أخفى حقيقته له فويق استواء الحق تمكين

قوله (فلو تراه وقد أخفى حقيقته) الضمير عائد على هذا الإنسان الكامل المعرف عنه بكل ما سبق فى القصيدة . ومعنى اختفاء حقيقته أى المستقلة وأصبح الأمر كله لله وهنا أسرار دقيقة - قوله (له فويق استواء الحق تمكين) وكما قلت سابقا لا شركة بين مشاهد الأكابر والحضرات والأسماء الإلهية فيفهم قوله (استواء الحق) على هذا ويكون المشهد هنا قد علا عن سابقه المذكور فى البيت السابق ومثل هذه العلوم والأذواق معجوز عن إدراك حقيقتها كما قلت سابقا .

ثم قال :

فإن تجلى على كون بحكمته له على ظهر ذاك الكون تعيين

وهذا البيت أيضا يفهم على ما سبق من المشاهد العالية التى يقام فيها هذا الوارث المحمدى فإن الوارث صار يعمل بربه والحديث الشريف وارد فى هذا فى قرب النوافل فانتبه لإعطاء المراتب خفها فما فى الحق من الخلق شىء . وما فى الخلق من الحق شئ . والرب رب والعبد عبد . وعلى هذا التحقيق السليم الشرعى قامت كل علوم القوم وبخاصة سيدى محيى الدين رضى الله عنهم .

ثم قال :

فلا يزال لمزج الملقيات به يقول للكائنات فى الورى كونوا

قوله (لمزج الملقيات به) أى ما أصبح لهذا الإنسان الكامل من وراثة العمل بربه ويكون المراد بالملقيات ما يساق له من أوامر الحق فى التصريف فى الكون كما قلت سابقا وتفهم بقية البيت من هذا الشرح .

ثم قال :

فكل قلب سها عن سر حكمته فى كل كون فذاك القلب مغبون

يفهم مما سبق - وقوله (مغبون) أى مهضوم الحق .

ثم قال :

فاعلم بأنك لا تدرى الإله إذا لم يكن فيك يرموك وصفين

معنى البيت أن المعرفة بالله طريقها المجاهدة . وقوله (يرموك وصفين) واقعتان معروفتان فى التاريخ الإسلامى .

ثم قال :

فاعرف إلهك من قبل الممات فإن تمت فأنت على التقليد مسجون

يوصى الشيخ رضى الله عنه المريد بسلوك طريق القوم الواصلين إلى الله بطريق السلوك وإن لم يكن هذا فإن العبد يموت مقلدا غيره فى ذلك وذلك نقص كبير .

ثم قال :

وإن تجليت فى شرقى مشهده علما تره فيك العال والدون

قوله (شرقى مشهده) مشهد الظهور بالأسماء والصفات وفيه تتفصل الآثار

والأكوان للمشاهد ويرى العالى والدون أى السافل من الآثار أى يشاهد أعمال العاملين مفصلة وهذا هو معنى الشطرة الثانية من البيت - وقوله (تره) أى اتسع المشاهد لهذه التفصيلات ووسعها رحمة وعلما .

ثم قال :

ولاح فى كل ما يخفى ويظهره من التكاليف تقبيح وتحسين

قوله (ما يخفى ويظهره) أى الحق . ومعنى البيت يفهم من البيت السابق .

ثم قال :

فافهم فديتك سرا لله فيك ولا تظهره فهو عن الأغيار مكنون

قوله (مكنون) أى مستور .

ثم قال :

وغر عليه وصفه ما حييت به فالسر ميت بقلب الحر مدفون

معنى البيت ظاهر .

وانتهت القصيدة وجاء بعدها وسأشرحه بعده ..

فلما سمع مشتهى القلوب ووقف على شرف الغيوب ورأى ما حوته هذه المملكة الإنسانية من الصفات الربانية والأسرار الروحانية جثا على ركبتيه وانسلخ عن ظلمتيه (١) وقال إنى أكتم السر فأوضح الأمر فقد زال النكران وطرد الشيطان بعناية ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان** ﴾ (٢) فصف الخبر فإنى أسلم وعلمنى فإنى أتعلم قلت فلم أزل بهذا المشهد السنى

والمقام العلى أغدو وأروح فى غبوق (٣) وصبوح (٤) إلى أن تمكن الأمر لدى وحصلت المفاتيح (٥) الثوانى فى يدى . فلما اتصفت بهذا التحصيل وهيأنى الحق للتقديم ورشحنى للتفصيل علمت أنه سبحانه يريد رجوعى إلى عالم الشهادة فقبلته على شرط الإبقاء الحالى والزيادة إذ لا دليل قاطع بوجود نهاية ولا تحقيق لأحد بغاية إذ هو القائل سبحانه قول تنزيه وتمجيد **(لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد)** (٦) فحصل للمتصف بهذا المقام نفوذ إرادته فى ملكه وزيادة ما لم تتصف الهمة بدركه . فنفوذ إرادته فى قوله **(فعسى الله أن يأتى بالفتح)** (٧) بشرط الوفاء بعهده والزيادة فى تتميم الآية بقوله سبحانه **(أو أمر من عنده)** فعند انصراف من غير مفارقة الرفيق إلى عالم الترقيع (٨) والتلفيق تلقتنى حوادث الأكوان فى الطريق فعند ذلك عرفت من الحوادث الأنية (٩) والأينية (١٠) ما شهدته وعلمت من الكائنات العلوية والسفلية ما وجدته وأنا الآن من ذلك الوقت إلى حين هلكى وافتراق ملكى فى تلك الرجعة المشهدية بتلك الصفة الأحدية .

شرح الصعب مما سبق :-

(١) لعله يريد ظلمة النفس والدنيا .

(٢) آية ٥٢ من سورة الحجر .

(٣) الشرب بالعشى .

(٤) الشرب بالصباح .

(٥) نوع من المفاتيح التى تفتح بها خزائن العلوم وكونها ثوان لوجود مفاتيح أول وذلك بحسب مراتب العلوم فى الدقة . وفى كتب سيدى محى الدين رضى الله عنه أنواع هذه المفاتيح .

(٦) الآية ٣٥ من سورة ق .

(٧) الآية ٥٢ من سورة المائدة .

(٨) لعل المراد عالم الصور الظاهر .

(٩) المطلقة عن القيد بالزمان .

(١٠) الأعمال المقيدة بالزمان .

وتابع الشيخ رضى الله عنه كلامه فقال :

ومن ذلك (إشارة هدهد أمين جاء بنبأ يقين وقد تجسد بثلاثة أنوار وأغطية أسرار) وممن سلم على من أفقه وأظهر لى بعض خلقه كوكب الأفول فى رداء ألقه (١) . وقمره بازغا (٢) فى حلة الهداية المشرقة فأعطى كل نور حقيقته . وأوضح لنا طريقته . ثم تلاهما الشمس الأكبر والنور الأزهر الذى يجلو السدف (٣) وينير الغرف (٤) ويزيل الكلف (٥) وهو التجلى المثالى (٦) والنور (٧) التمثالى الإرسالى فسلم ثم أفل فى مغربه المعمى (٨) حتى يصل الأجل المسمى فإذا دنا الأجل واقترب طلع هاديا من حيث غرب وهذا هو شمس التوجيه ومقام التنزيه . بأفوله يزول الإشراك وتنحل عقد الأشراك (٩) فيفلت صيدها ويرتفع كيدها . وهذا الأفول كل على قسمين بارز لذى عينين فإن جعل أفولها فى قلبه فهو على نور من ربه فى عالم غيبه فبقى له نور قربه ويكون له نور على نور وسرور وارد على سرور وإن أظلم المحل الأضوى (١٠) عند أفولها فهو معرى (١١) من صفات مقيلها (١٢) فقد غرق فى بحر الذات الأقدسية متجردا عن أثواب صفاتها المعنوية فانظر إلى هذا السر السنى ما أعجبه وإلى هذا الذوق الشهى ما أعذبه وبقيت مع هذا النور الشمسى فى مقامه القدسى أناجيه أعواما وليالى قمرية وأياما فقد أوضح الله لنا العلامة بأنه خاتم

الإمامة (١٣) أعنى الإمامة المحمدية الجزئية لا الإمامة المطلقة (١٤) الكلية فمن فهم فليعلم ومن جهل فليقرع الباب وليلزم ما دام هذا النور ثابتا فى أفقه قبل أفوله فى حقه فتحققت ما لديه وعلمت ما جعل الحق من الأسرار فى يديه ٠

أقـــــــول :

هذا الجزء ابتدأه بقوله (إشارة هدهد إلى آخر العنوان) أشرح الصعب منه

فأقـــــــول :

(١) أى لمعانه ٠

(٢) أى طالعا ٠

(٣) الظلام ٠

(٤) حضرات وجود العارف ٠

(٥) شىء يظهر على الوجه معيب ٠

(٦) المثال عالم بين الحس والأرواح يكثف اللطيف ويلطف الكثيف ٠

(٧) التماثل الصورة المشابهة للصورة المحسوسة ٠

(٨) الذى لا يدرك ٠

(٩) المصايد ٠

(١٠) المنير ٠

(١١) أى عاريا ٠

(١٢) سكونها ٠

(١٣) الإمام الرجل المتقدم على غيره فى الأمور٠ وهنا يشير إلى الإمام خاتم الأولياء وقد سبق شرح الختمية ومن نطق بها ويعتبر هذا الجزء من صلب هذا الكتاب ٠ والختمية المحمدية الخاصة غير الختمية العامة التى

يأتى شرحها ٠

(١٤) الختم العام المطلق هو النزول العيسوى الوارد فى الأخبار وهو سر دقيق لا يفهم إلا بالفتح ٠

أقـــــــول :

وابتدأ الشيخ رضى الله عنه بعد ذلك بجزء جديد بعنوان [ومن ذلك رحيق (١) مختوم مزاجه من تسنيم (٢)] إلى أن دخل عام خمسة وتسعين ونصف اليوم (٣) وانجلى عن الشمس ظلام الغيم وأنا على حالتى فى رجوعى المذكور بعلمى المشهور وعلمى المستور فى غلائل (٤) النور ٠ وإنما كان هذا الرحيق بالمسك مختوما وكان مزاجه تسنيما لأنه تابع متبوع وسامع مسموع وستأتى الإشارة إليه من بعد ويكون له الوعيد والوعد ٠ فلما دخل العالم المذكور ومضت منه ثلاثة شهور وتلقانى عند فراقى لهذه الشمس (٥) المغربية وتركى لها فى العصابة (٦) اليثربية ٠ فلما أتى الختم برحيقه وأوضح لى التسنيم مزاج طريقه فنظرت ختم أولياء الحق فى مقعد الإمامية (٦) الإحاطية والصدق فكشف لى عن سر محتده (٧) وأمرت بتقبيل يده ورأيته متدليا (٨) على الصديق (٩) والفاروق ومتدانيا (١٠) من الصادق (١١) المصدوق محاذيا له من جهة الأذن قد ألقى السمع لتلقى الإذن ولواء (١٢) تقدمه منشور وخاتماه (١٣) نور على نور فكان له فى ذلك الجمع الظهور ومن عداه فيه كلابس (١٤) ثوبى زور والشمس (١٥) البيتية قد قبلت يده مثلى فسألته عنها فقال الختم هى من (١٦) أهلى ثم نازعنى الحديث وتغنينا بالقدم (١٧) والحديث والساقى يحث (١٨) المدامة ويبدأ بساق عرش (١٩) الإمامة وهو (٢٠)ينعطف على عطفه نشوان (٢١) ويغازلنى مغازلة هيمان (٢٢) ويقول ردنى (٢٣)برداء

الكتم فإنى أنا الختم لا ولى (٢٤) بعـــدى ولا حـــامل لعـــهدى . بفقـــدى تذهب(٢٥) الدول وتلحق الأخريات (٢٦) بالأول .

وكان مـــا كـــان مما لست أذكره فظـــن خـــيرا ولا تســـأل عن الخبر

ولما تناجت القلوب بأسرارها وطلعت شمس (٢٧) الغيوب من سماء أنوارهـــا وأخذ المجلس حده ودخل أبو العباس (٢٨) وصاحبه (٢٩) عنده فعند ذلـــك انصرفت متحققا بما عرفت و لم تبق نكتة نادرة إلا على باب حضرتـــى واردة وصادرة . ولولا عهد الغيرة ما أخذ ودخيل (٣٠) الإنشاء الذى نبـــذ (٣١) لأبرزناه لكم فى حلته (٣٢) ولكن سأجعله لكم وراء كنيته وحليته فمن اجـترأ ورفع ستره رأى سره وهكذا أفعل فى شمس (٣٤) غربنا أظهرها لكم مـن وراء قلبنا فى حجاب غيبنا فمن كان ذا كشف علوى وفهم قوى شق عن قلبى حتى يرى فيه شمس ربى فمن امتطى (٣٥) عتيق الإنشاء وطلب (٣٦) ولحق ومـــن نزل عن متنه (٣٧) إلى ذلول الكتم نجا والتحق إلا إن كان يفعل كما أفعل . وفعله من قبلى فى خفى رمز . ودرج معنى فى معمى ولغز .

أقول شارحا لما سبق :-

(١) أجود الخمر وأصفاه والمراد شراب القرب من الله .

(٢) عين عالية شرابها أشرف شراب والإشارة إلى صفاء المشرب الشهودى.

(٣) أخبر الشيخ رضى الله عنه أنه نال الختمية فى هذا التاريخ ونصف اليوم هو خمسمائة سنة تضاف إلى الخمسة والتسعين .

(٤) ثياب .

(٥) ما هو المعروف من تسمية الختم الخاص بهذا الاسم .

(٦) جمع إمام وهو المقدم فى أمر خاص به والإشارة أيضا إلى الختم الخاص

المحمدى .

(٧) أصله .

(٨) من النزول .

(٩) مقام الصديقية ومقام العمرية وهنا يجب أن يفهم أن ذكر الأسماء مـــن الكبار يراد به حصول الميراث منهم .

(١٠) قريبا .

(١١) الميراث من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١٢) العلم والراية .

(١٣) لعل المراد خاتم النبوة والخاتم الذى يلبس فى الإصبع .

(١٤) مثل يضرب للمبطل .

(١٥) لعل المراد المهدى وسبق بهذا الكتاب ذكره .

(١٦) لعل المراد من أهل الختم وذلك ارتباط دقيق بين المهـــدى والختـــم وتفصيل المقامين يدق .

(١٧) لعله يريد العلم بالله ويكون المراد بالحديث العلم بالأكوان.

(١٨) يدير الشرب المشار إليه بالمدامة وهى الشراب الخاص بأهل الله .

(١٩) لعله يريد الإمامة التى سبق شرحها .

(٢٠) يميل وينثنى .

(٢١) المحب الهائم .

(٢٢) زيادة الشوق .

(٢٣) ألبسنى .

(٢٤) هذا نطق المرتبة الختمية لا أنه يريد أنه لا يأتى بعده وارث لهذه المرتبة

وهنا يجب الانتباه لمثل هذا الكلام إذا نطق به الرجال ٠

(٢٥) تتغير أحوال الخلق وذلك أن الرجال الأكابر من أهل الله محل نظر الله من خلقه وذلك سر دقيق فى ارتباط الرعية بالراعى وسواء فى ذلك الرعاية الظاهرية والرعاية الباطنية ٠

(٢٦) يفهم من الشرح السابق مباشرة ٠

(٢٧) الأسرار العالية التى تظهر من الغيب الإلهى ٠

(٢٨) الإشارة إلى الخضر ٠

(٢٩) لعل المراد سيدنا موسى وذلك ما هو مذكور فى اجتماعهما بسورة الكهف واللازم ان يحصل التفصيل فى هذه المسألة بين ما ذكر فى كلام الله فى هذه القصة وبين ما يذكره الشيخ هنا فى هذا المشهد ٠

(٣٠) المفشى للأسرار لعدم أمانته ٠

(٣١) طرح ولم ينظر إليه ٠

(٣٢) كسوته ولباسه ٠

(٣٣) نوع تسمية معروف كما تقول أبو عبد الله ٠

(٣٤) شمس الغرب، أى الختم وسبق شرحه ٠

(٣٥) أى ركب والعتيق مركوب جيد ٠

(٣٦) أى بحث عنه لإلحاق الأذى به ٠

(٣٧) المتن الظهر الصلب ٠

(٣٨) الدابة السهلة القياد ٠

(٣٩) مغطى وغير مفهوم ٠

ثم تابع الشيخ رضى الله عنه تحقيقه فقال :

(ومن ذلك البحر المتقدم المذكور إرخاء الستور على البدور) ولما دخل شهر ميلاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم بعث إلى سبحانه رسول الإلهام وهو الوحى الذى أبقاه علينا والخطاب الذى جعله منه إلينا ثم أردفه بمبشرة ساطعة فى روضة يانعة يأمرنى فيها بوضع هذا الكتاب المكنون والسر المصون المخزون وسماه لى بكتاب الكشف والكتم فى معرفة الخليفة والختم فراجعت الملك فى هذه العلامة فقال أيها الفتى مه (١) ثم عاد إلى وما رحل وفرش المحل الأقدس ونزل وقال الحضرة قد وسمته بكتاب سدرة المنتهى وسر الأنباء فى معرفة الخليفة وختم الأولياء فقلت إنى لا أجد فى نفسى لهذه السمة نكتة فلا تعجل على ولا تأخذنى بغتة فقال إنى لأستحيى فقلت ربى الذى يميت ويحيى فلما كان يوم الجمعة والخطيب على أعواده يدعو قلوب أولياء الله وعباده إذ وجدت برد كف الجذب من حضرة القرب فتلقيت أسلة (١) الكلمات وتوفرت دواعى القلب لما يرد عليه من النسمات فإذا الخطاب الأنفس من المقام الأقدس هل تقنع أيها الخطيب المعرب (٢) والمنقد (٣) المعجب [**بعنقاء مغرب فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب ونكتة سر الشفا فى القرن اللاحق بقرن المصطفى**] ٠

شرح الصعب فى هذا الجزء :-

(١) الأسيل هو المسترسل من الكلمات ٠

(٢) المفصح ٠

(٣) المفصل ٠

ثم ذكر الشيخ بعد ذلك (وصل) وهذه الإشارة كلها راجعة إلى النسخة (١)

الصغرى لا إلى النسخة (٢) الكبرى فقد بينت لك آنفا (٣) أنه لا فائدة (٤) فى معرفة ما خرج عن ذاتك إلا أن تتعلق به سبيل نجاتك فشمس المغرب ما طلع فى عالم غيبك من أنوار العلوم وتجلى إلى قلبك من أسرار الخصوص والعموم كما أن الختم ما ختم به على مقامك عند منتهى مقامك وكذلك إذا كنت فى زمانك الخاص بك بين إخوانك على ما كان عليه من تقدم من صحابة النبى من العلم السنى والتجلى الكلى فقد لحق زمانك بزمانهم وصرت من جملة أقرانهم .

شرح الصعب مما سبق :-

(١) النسخة الصغرى هو الإنسان الكامل .

(٢) جملة الأكوان وفيها الإنسان

(٣) سابقا .

(٤) من هنا إلى آخر الوصل هو زبدة التحقيق المؤلف من أجله هذا الكتاب فانتبه .

واستمر الشيخ رضى الله عنه فى كلامه فقال :

(ومن ذلك رفع ستر ومجاهدة فكر) ولما فض (١) ما ذكرته وورد على بما سطرته قال هل رأيت يا محمد هذه الإشارة فى تاخير الوزارة (٢) عن الأمير (٣) فى وقت الإمارة لولا (٤) خلافة الصديق لرجع الناس عن الطريق لعدم الكشف ومعرفة الصرف (٥) وهل الخلافة إلا بعد ثبوت المستخلف ولهذا توقف المجادل المتعسف قل له يا محمد هيهات يا إنسان مالا بد من كونه فكأنه قد كان ولكنه غير موجود فى عالم التعيين والحدثان وإنما الحكمة أخرته لسر أضمرته سيظهر ذلك السر فى أوانه وحلول زمانه فشمس (٦) المغرب دون رتبة

الصديق فعليك بالكتم كما أن الصديق فمن دونه تحت لواء (٧) الختم وذلك أن أنوار الغيوب الساطعة فى القلوب التى كتبت عنها ينالها من ليس بصديق أكبر ولا له ذلك المقام الأخطر (٨) بل قد ينالها المكور به المستدرج (٩) المغبون وسر هذا فى قوله تعالى ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ (١٠) والصديقية لا ينالها إلا أهل الولاية ومن كان له عند الله أزلا سابق عناية وهى السبيل فى نجاة من أتصف بها وتمذهب بمذهبها فلهذا جعلنا الشمس دونها وإليها ركونها كما أن الختم فوق رتبة الصديق إذ كان الممهد للطريق الذى مشى عليه عتيق (١١) فالختم نبوى المحتد (١٢) علوى (١٣) المشهد فلهذا جعلناه فوق رتبة الصديق كما جعله الحق . فالآخذ نوره من مشكاة النبوة أكبر ممن اخذ نوره من مشكاة الصديقية فبين التابع والصاحب ما بين الشاهد والغائب .

ولما وضح أن الختم مقدم الجماعة يوم قيام الساعة ثبت أن له حشرين (١٤) وأنه صاحب الخاتمين (١٥) ويشاركه ذو الأجنحة (١٦) فى حشريه وينفرد الختم بخاتميه .وذو الأجنحة فى الإنسان من غلبت عليه الروحانية والتحق بتطهير نفسه بالرتبة الملكية ولا دفاع عندنا فى هذا المقام ولا نزاع وعلى قدر ارتقائه فيها يكون صاحب مثنى أو ثلاث أو رباع فإن كان أمين الأرواح فيكون له ستمائة جناح ولا حرج عليه فى ذلك ولا جناح وإنما سميناه خاتما وجعلناه على الأولياء حاكما لأنه يأتى يوم القيامة وفى يده (١٧) اليمنى محل الملك الأسنى خاتم (١٨) مثالى جسمانى وفى يده اليسرى محل الإمام (١٩) الأسرى (٢٠) خاتم (٢١) ترابى روحانى وقد انتشر باليمين فى زمرة (٢٢) أهل التعيين (٢٣) وقد انتشر باليسار مع أهل التمكن (٢٤) وقد خصص بعلمين (٢٥) وخوطب باسمين (٢٦) فله الترؤس فى الحافرة (٢٧) والتقدم فى ولاية

الآخرة فتفطن أيها اللبيب لهذه الأسرار واسع لضياء هذه الأنوار .

شرح الصعب :-

(١) أى فتح .

(٢) المعاونة .

(٣) المتولى الأمر والله أعلم بمراد الشيخ رضى الله عنه فى هذا الجزء ولعل ما يأتى يشرحه .

(٤) لعل هذا الجزء شرح للجزء السابق ويكون المراد بالوزارة سيدنا أبو بكر الصديق والمراد بالإمارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه كان مدخرا لتكملة الدعوة بمحاربة المرتدين والله أعلم .

(٥) لعل المراد تصريف الأمور .

(٦) مرتبة كبيرة فى الولاية دون الصديقية والختمية .

(٧) أى الصديقية تحت الخاتمية ولا تفهم هذا على مسمى الأشخاص من صديق وختم وإنما المراد أن الختمية فى الصديق أعلى ما فيه فافهم هذه الدقة المرتبية .

(٨) أى العظيم .

(٩) الكاذب الضائع .

(١٠) جزء من الآية ١٨٢ بسورة الأعراف .

(١١) اسم من أسماء سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

(١٢) الأصل .

(١٣) من العلو .

(١٤) حشر من حيث الولاية عموما وحشر من حيث ختميتها والله أعلم .

(١٥) خاتم الولاية العامة وخاتم وراثة النبوة والله أعلم .

(١٦) مشروح بعد والأجنحة إشارة إلى حمل الملائكة للأسرار لتوصيلها إلى المرادين بها .

(١٧) جانب روحانى خاص بعلوم خالصة فى التوحيد الذاتى .

(١٨) عالم المثال هو البرزخ بين المحسوسات والمعانى والأجسام والأرواح ويكون المراد بالختم المثالى الجسمانى العلم الجامع بين إدراك الأسرار فى عالم المثال وعالم الأجسام .

(١٩) إشارة إلى الجسم الشريف فى جمعية الإنسان أى مرتبته الحسية .

(٢٠) الشريف كما أشرت إلى ذلك .

(٢١) هذا الخاتم الترابى يناسب الجسم ووصفه بالروحانى لأن الجسم تجوهر وانطلق من طبيعته فانتبه لهذه الدقائق فإن غورها بعيد وأعتذر وأطلب السماح من الله ولوجى أبواب هذه الدقائق من باب خادم القوم محسوب عليهم .

(٢٢) جماعة .

(٢٣) الأئمة من الرجال المعدودين .

(٢٤) الرجال فى المراتب دون أهل التعيين السابق شرحهم .

(٢٥) بعلمى الظاهر والباطن والله أعلم .

(٢٦) باسم الصورة واسم المرتبة الختمية والله أعلم .

(٢٧) الحياة الدنيا .

وبعد ذلك قال الشيخ رضى الله عنه :

(وبعد ذلك رهن إغلاق واخذ ميثاق) ولما سمعت ما ذكره وأظهر لعينى ما كان قبل ذلك ستره عزم على فى تقييد هذه النبذة الأقدسية وأخذ على العهد أن أجردها من غلائلها (١) السندسية حتى لا تبتسم عن إغريض (٢) ولا يظهر لبرقها وميض (٣) وقال هو رهن بيدك وقد علق (٤) فلا تبتئس (٥) فأمسك عليه ولا تخرجه فتفتلس (٦) فتوجه الأمر على عند ذلك فى إنشاء هذا السر المكتوم والكتاب المختوم (٧) بإفشاء تعريض لا تصريح وإعلان تنبيه وتلويح (٨) ولما تلقيت الأمر منه على هذا الحد ودخلت هذا العقد لزمنى الوفاء بالعهد فأنا الآن أبدى (٩) وأعرض تارة وإياك أعنى (١٠) فاسمعى يا جارة . وكيف أبوح بسره أو أبدى مكنون أمره وأنا الموصى به غيرى فى غير ما موضع من نظمى ونثرى .

نبه على السر ولا تفشه ... فالبوح بالسر له مقت

على الذى يبديه فاصبر له ... واكتمه حتى يصل الوقت

فمن كان ذا قلب وفطنة شغله طلب الحكمة عن البطنة (١١) ووقف على ما رمزناه وفك المعمى (١٢) من الذى لغزناه ولولا الأمر الإلهى لشافهنا به الوارد (١٣) والصادر (١٤) وجعلناه قوت المقيم (١٥) والمسافر (١٦) ولكن قد جف القلم بما سبق فى القدم فما أشرف الإنسان حيث جعله الله محل روحانيات هذه الأكوان فلقد أبدع الله سبحانه حيث أوجده أكمل نسخة والله الكفيل **(وعلى الله قصد السبيل)** . **(ولو شاء لهداكم أجمعين)** .

شرح الصعب :-

(١) ثيابها .

(٢) الإغريض الأبيض من كل شيء ولعل المراد هنا بياض الأسنان .

(٣) لمعان .

(٤) أى ارتبط بك .

(٥) تحزن .

(٦) من الإفلاس والخلو .

(٧) لا يفتح .

(٨) إشارة إليه .

(٩) أظهر .

(١٠) أريد وهو مثل يضرب فى إسماع المخاطب كلام المخاطب .

(١١) كثرة الأكل .

(١٢) المغطى .

(١٣) من يأتينا .

(١٤) من يغادرنا .

(١٥) المختلى .

(١٦) السالك المتحرك .

ثم تابع الشيخ رضى الله عنه تحقيقاته فقال :

(ومن ذلك موقف اختصاص ونتيجة إخلاص) ولما كان هذا الأمر يدخله الصدق والمين (١) ولو كان عند قائله عن مشاهدة عين ما كان يقطع بصدقه السامع إلا إن تأيد ذلك الخبر بإعجاز قاطع أو نور حسن ظن بقلبه ساطع . ولهذا قال الإمام أبو يزيد لأبى موسى الديلمى . إن المؤمن بكلام أهل هذه الطريقة مجاب الدعوة عند العلى فقد حصل للمؤمن الصديق الاشتراك مع

الصادق بطريق حسن الظن لا بالدلائل الخوارق . ولما كان الأمر عند الخلق بهذه النسبة وحجبوا عن ما له عند الله من عظيم النصبة (٢) أخفيناه عنهم رحمة بهم وجرينا معهم على مذهبهم فما أظهرت النبوة للجمهور إلا على قدر حمل عقولهم خوفا من نفورهم له وذهولهم فيقعوا فى تكذيب المخبر الصادق فتحل بهم لذلك مثلات (٣) العوائق ثم جرى على ذلك المهيع (٤) السلف الصالح من الصحابة ونزلوا عن مقام الهيبة إلى مقام المزاح والدعابة (٥) افتداء بمن مازح الشيخة (٦) وذا (٧) النغير بما ظاهره موهم وباطنه خير وتستروا بالمعاملات فى الظواهر وتكتموا بما حصل لهم من العلم المصون والسرائر وإن كانوا قد نبهوا رضوان الله عليهم على أمور ليست عند الجمهور وخوطبوا بها من وراء الستور فقال أبو هريرة (لو بثثته لقطع منى هذا البلعوم) وقال ابن عباس (لو فسرته لكنت بينكم الكافر المرجوم) لما رأوا أن حقائق الغيوب فوق مراتب بعض القلوب فأخذوا الأمر من فوق معرفة مشاهدة وذوق ورثا نبويا محفوظا ومقاما علويا ملحوظا إذ أشار فى إنبائه لما لقيه ليلة إسرائه من تحصيل علم أخذ عليه كتمه لما عسر على غيره فهمه ولما كانت هذه العلوم التى أنا واضعها فى هذا المجموع وأشباهه من هذا القبيل ومتلقاة من مشكاة (٨) هذا الجبل وبما لا تصح إلا بعد مفارقة (٩) جبريل وكل صنف من الملأ الأعلى وقبيل لم يصح عندنا إذاعتها ولا بأن نرفع حجابها فنكشف سريرتها . فكل ما أبرزناه لعين الناقد البصير إنما هو من تلقيات الروح (١٠) الأمين ومن سدرة (١١) منتهى السالكين وبعض تلقيات التعيين (١٢) والتمكين (١٣) من حضرة المناجاة بلغة (١٤) الإنس لإزالة سطوة الهيبة ونزول رحمة الأنس فأظهر منها على قدر أبصار الناظرين فمنهم من فهم وسلم ومنهم من جال بها فى ميدان المتناظرين .

شرح الصعب :-

(١) الكذب .

(٢) الارتفاع .

(٣) عقوبات .

(٤) الطريق البين .

(٥) المزاح .

(٦) فى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه لا يدخل الجنة عجوز فبكت فأخبرها صلى الله عليه وسلم أن مراده دخول الجنة فى حالة صبا للعجائز فى الدنيا مستشهدا لقوله تعالى ﴿ عربا أترابا ﴾ بسورة الواقعة الآية ٣٧ فمعنى (أترابا) مستويات فى الست .

(٧) فى الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم (يا أبا عمير ما فعل النغير) والنغير تصغير طائر كالعصفور اسمه النغر منقاره أحمر .

(٨) كوة غير نافذة .

(٩) إشارة إلى المعراج النبوى عند سير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السدرة مفارقا لسيدنا جبريل عليه السلام فهذه العلوم التى يمنحها هذا الختم إلهية بدون وساطة الملائكة .

(١٠) سيدنا جبريل والمراد هنا ملك الإلهام الخاص بالأولياء .

(١١) منتهى العلوم التى تمنح للسالكين .

(١٢) الرجال الكبار المعدودين كالأفراد .

(١٣) مقامات فى الولاية عليا لا يحصرها العدد .

(١٤) لغة الألسنة المعروفة المعبرة عن الذوق الوجدانى الشهودى .

ثم تابع الشيخ رضى الله تحقيقاته بعد ذلك فقال :

(ومن ذلك موج مجون (١) تجرد عنه لؤلؤ مكنون) ولما توالت على الأسرار وسطعت من جميع مسام نشأتى أشعة الأنوار اغتسلت بالماء القراح (٢) لسد المسام وانعكست الأنوار إلى محل الإلهام فتفجرت جداولها وأنهارها واشتد الريح الغربى (٣) فتموجت بحارها فدخل الموج بعضه على بعض وأسرع إلى ما أبرمه المبرم بالحل والنقض فلا تبصر إلا سحابا مركوما وموجا مجونا [فى (٤) بحر لجى (٥) يغشنه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض] حتى ما بقى على ظهر هذا البحر فلك (٦) يجرى ولا ظهر فى جوه فلك (٧) يسرى إلى أن لطف المغيث سبحانه وتعالى فسكن من الريح ما اشتد وكشف (٨) الموج بالساحل وامتد فرمى بزيده (٩) على سيفه (١٠) زبدا محضا لوضيع الوقت (١١) وشريفه (١٢) ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾ (١٣) وحققوا طريقهم ومذهبهم فذلك الزبد قدر ما خرج من بحر قلوب العارفين على ظاهرهم إلى الخلق ولا يعرف قدره إلا صاحب دوق وهذا الكتاب المحفوظ من طوارق (١٤) العلل والمسمى فى غيابات الأزل (**عنقاء مغرب فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب ونكتة سر الشفا فى القرن اللاحق بقرن المصطفى**) من ذلك الزبد الذى رماه الموج يلوح للمنفرد الفرد وللجامع عليه الزوج فمن شاء فليوتر (١٥) ومن شاء فليشفع (١٦) ومن شاء فليكتم ومن شاء فليشع . وهذا القرن قد آن زمانه وقرب أوانه فليتأهب المتأهب (١٧) لحلوله وليستغنم السعى لهذا النور الإلهى قبل أفوله (١٨) ولا عجب يا أخى فإن القرن اللاحق بقرن المصطفى لم يزل موجودا ما دام الإنسان مع ربه سبحانه شاهدا له والحق له مشهودا فهو وإن كان الذى أشار إليه الشرع وجاء

به السمع فى عبارة الهرج والقتل فذلك أوان التقدم والفضل فإن للعامل منهم أجر سبعين ممن تقدم وإن كان الإمام المقدم فإنهم لا يجدون على الخير أعوانا كما وجدوا ولا يشهدون لإمامهم عينا كما شهدوا فلا شىء أقوى من إيمان غيب إذا لم يلحق بصاحبه ريب (١٩) وذلك زمان الفتن وحلول البلايا والمحن ﴿ **فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ۞ ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى** ﴾ (٢٠) فتأمل هذه الإشارات فى نفسك واجتمع عليها بقلبك وحسك فإن الزمان شديد وجباره عنيد وشيطانه مريد (٢١) فانسلخ منه انسلاخ النهار من الليل وإلا فقد لحقت بأصحاب الثبور (٢٢) والويل (٢٣) وقد نصحتك فاعلم وأوضحت لك السبيل فالزم .

شرح الصعب :-

(١) ما صلب وغلظ من الماء .

(٢) الماء الخالص .

(٣) التجلى الذاتى .

(٤) الآية رقم ٤٠ من سورة النور .

(٥) كثير الماء .

(٦) السفن .

(٧) مسابح النجوم .

(٨) أى لحق بالساحل فلم يبق له ظهور .

(٩) الرغوة .

(١٠) ساحل البحر .

(١١) المعدوم الذوق للحقائق ٠

(١٢) صاحب الذوق للحقائق ٠

(١٣) جزء من الآية ٦٠ من سورة البقرة ٠

(١٤) النازل المفاجئ ٠

(١٥) فليفرد ٠

(١٦) أى يزوج ٠

(١٧) المستعد ٠

(١٨) غيابه ٠

(١٩) شك ٠

(٢٠) الآيتان ٢٩ ، ٣٠ من سورة النجم ٠

(٢١) المعاند الطاغى ٠

(٢٢) الهلاك ٠

(٢٣) العذاب والهلاك ٠

واستمر الشيخ رضى الله عنه فى تحقيقاته فقال :

(ومن ذلك نكاح عقد وعروس شهد) ولما كان ما صدق من الرؤيا جزءا كبيرا نبويا قطعنا بتصديق ما تهديه وتنعم به من أيادى (١) الحق سبحانه وتعالى وتسديه (٢) فدخلت بيت الأنوار وأسدلت (٣) على الحجب والأستار غيرة على الحرم (٤) والأبكار (٥) فبينما أنا أناجيه بين يديه إذ جذبنى جذبة عزيز له إليه فأقامنى الحق فى مقام البحر الذى علا موجه وطما (٦) ودخل بعضه فى بعض ونما (٧) وأنا فى حالة لا يعرفها إلا من كابدها (٨) ولا يصفها إلا من شاهدها كما قيل :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فأقمت متكئا على اليمين وتركت قلبى مقابلة عليين إذ هو محل الحق ومقعد (١٠) الصدق وقد غمره الماء وأحاطت به الأنواء (١١) فلم تزل أمواجه تصطفق (١٢) ورياحه تزعج وتستبق إلى أن فتق (١٣) فى الورك الأعلى الأيسر قدر خرم (١٤) الإبرة فرشح منه قدر رأس الشعرة رأيت فيها عبرة (١٥) فكونها الحق سبحانه شخصا ملكيا وأنشأها إنشاء فلكيا فرأيته مسبحا ومهللا ومكبرا فعرفت أن هذا الشخص جسمانية هذا الكتاب الذى أنزله الحق على وأبرزه للعيان على يدى وأنه قطرة من ذلك البحر المتموج ورشحة من ذلك الموج الأهوج (١٦) فالحمد لله الذى صيرنى محيطا وجعلنى له روحا بسيطا فانظر وتأمل أيها الولى الأكمل إلى نبى قد فقدت (١٧) جثته وبقيت عند الآحاد سنته فبعث ليلة من قبره وسير به إلى حشره والتحق الحى (١٨) بالميت فحشر (١٩) وحصل رب البيت (٢٠) فى البيت فعمر فخطب حميراه (٢١) من عتيقه (٢٢) وانتزعها من يدى صديقه فأصدقها عددا غاب عنى وطلب الشهادة على ذلك منى فكتب فى خرقة حرير أحمر كتاب ذهب (٢٣) يزهر وكنت أول الشهود فى مهره عن إذنه صلى الله عليه وسلم وأمره وذلك بمنزله الأعلى ومقامه الأجلى (٢٤) فلما صح أمره ترك بيدى مهره ودخل منزله بعرسه وخلا بها وبنفسه وبقى المهر بيدى إلى إنتضاء أمدى (٢٥) فلما لاح الصبح لذى عينين وجمع بين النورين لم أجد عرسا ولا بعلا غير ذاتى (٢٦) ولا صداقا غير خلقى وصفاتى فكنت البعل والعرس وزوجت العقل بالنفس فتطهرت الحميرا (٢٧) ببعلها وتأيدت بعزيمة عقلها فتعجبت من أمرى لما لم يكن غيرى وهكذا وقفت عند رفع الستور على مخبآت الأمور فمن ساحل ماله

بحر يحتمى به زوجه (٢٨) ومن بحر لا ساحل له يكسر عليه موجه ومن ناطق بحقائق بغير لسان ولا مخارق (٢٩) ومن صامت لا برج (٣٠) داعيا وإلى الله هاديا ومن كرة (٣١) لا مكان لها ما عرفها أحد ولا جهلها ومن قبة ما لها عمد ومن عمد ما له فى الأرض مستند إلى أسرار تندمس (٣٢) بالذكر ولا تخلص بالفكر إذ هى من حضرة ما خطر على قلب بشر ولا وعتها (٣٣) أذن واعية لخبر ولا أدركتها حقيقة بصر .

عجبت من بحر (٣٤) بلا ساحل ... وساحل ليس له بحر
وضحوة (٣٥) ليس لها ظلمة ... وليلة ليس لها فجر
وكرة ليس لها موضع ... يعرفها الجاهل والحبر (٣٦)
وقبة خضراء (٣٧) منصوبة ... جارية نقطعها القهر
وعمد ليس لها قبة ... ولا مكان خفى السر
خطبت سرا لم يعبره (٣٨) كن ... فقيل هل هيمك الفكر
فقلت مالى قدرة فارفقوا ... عليه فى الكون ولا صبر
فإن بالفكر إذا ما استوى ... فى خلدى يتقد الجمر
فيصبح الكل حريقا فلا ... شفع يرى فيه ولا وتر
فقيل لى ما يجتنى (٣٩) زهرة ... من قال رفقا إننى حر
من خطب الحسناء فى خدرها (٤٠) ... متيما (٤١) لم يغله المهر
أعطيتها المهر وأنكحتها ... فى ليلتى حتى بدا الفجر
فلم أجد (٤٢) غيرى فمن ذا الذى ... أنكحته فلينظر الأمر
فالشمس قد أدرج فى ضوئها ... قمر الساطع والزهر (٤٣)
كالدهر (٤٤) مذموم وقد قال من ... صلى عليه ربك الدهر

وإنى أريد أن أظهر لك من العجائب ما تيسر وأمهد لك منها ما توعر (٤٥) فوالله لو رأيت يا أخى حال العارفين إذا خرجوا من نفوسهم ودرجوا (٤٦) عن محسوسهم فطهرت قلوب وظهرت غيوب ورفعت أستار وطلعت أنوار وكانت التجليات على مقدار فمن شاهد قدسا ومن شاهد أنسا ومن شاهد عظمة وجلالا ومن شاهد ملاطفة وجمالا ومن بهت فى أنية (٤٧) ومن خطف فى هوية فلو اطلعت عليهم غيبا لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا لانعدامك عند تلك المشاهدة وتعذيبك وسقوط قواك وحل تركيبك فإن سلكت باب المناصحة شهدت الحق منك مكافحة (٤٨)فينشد عند ذلك ما يشوق السالك.

ولما أتى الحق ليلا مكلما (٤٩) ... كفاحا (٥٠) وأبداه لعينى التواضع
وأرضعنى ثدى (٥١) الوجود تحققا ... فما أنا مفطوم (٥٢) ولا أنا راضع
ولم أقتل القبطى (٥٣) لكن زجرته ... بعلمى فلم تعثر على المواضع
وما ذبح الأبناء من أجل سطوتى ... ولا جاء شرير ببطشى رافع
فكنت كموسى (٥٤) غير أنى رحمة ... ولم تحرم على المواضع
لغزت أمورا إن تحققت سرها ... بدا لك علم عند ربك نافع

فإذا كان هذا الأمر العظيم فى المسلك (٥٥) الموسوى فما ظنك فى الصراط (٥٦) السوى والمسلك (٥٧) المحمدى وفى الصراط السوى إشارة فتدبر العبارة وانظرها آية وأمارة (٥٨) واجعلها زندا (٥٩) تقتبس (٦٠) منه ناره فإن المزج (٦١) والعقار (٦٢) بالإمتزاج والحك يريك النار وها أنا إن شاء الله أبث (٦٣) لك سرائر المكون والكون ما شاهده المقام (٦٤) والعين وما سبب البدء ومن كان أول النشء وكيف كان الأول مشرق الأنوار وينبوع الأنهار وعنه كان العرش والعالم الأوسط والفرش (٦٥) والجماد والحيوان وهو أصل

الأكوان وأريك ذلك كله قد أودعه الرحمن فى ذاتك وجعله من جملة صفاتك فأنت ذلك المثل (٦٦) المشبه وذلك المثل (٦٧) المنزه فإن قلت : وأين حظى من التنزيه وأين حظه من التشبيه فعند المواجهة والتوجيه يرد كل واحد منكما بيت التنزيه والتشبيه فإياك أن تغفل عن فتح هذا الباب المقفل والله يحسن عزمك . وإذا فتح لك أن يدتم صونك . وبدايتنا فى هذا الكتاب بمعرفة المعبود وأنه لا يعرف من ذاته سوى الوجود . ثم بعد ذلك أتكلم فيما ذكرته وأسوقه على ما شرطته . إلى آخر ما قال فى هذا الجزء وهو مفهوم .

التعليق على ما سبق :-

(١) نعم .

(٢) وتعطيه .

(٣) وأرسلت .

(٤) المحفوظات فى بيوتهن .

(٥) جمع بكر .

(٦) ارتفع الماء وملأ النهر .

(٧) زاد .

(٨) دخل فيها .

(٩) يعيش فيها .

(١٠) مكان مرضى .

(١١) الأنواء جمع نوء وهو ما يحصل بسببه المطر .

(١٢) تتقابل فيحصل من ذلك صوت كالتصفيق المعروف .

(١٣) فتح .

(١٤) صححت هذه الكلمة هكذا من النسخ والمعنى معروف .

(١٥) عظة .

(١٦) الهائج .

(١٧) لم توجد .

(١٨) الروح بالجسد .

(١٩) فجمع .

(٢٠) الإشارة إلى القلب .

(٢١) اسم لسيدتنا عائشة رضى الله عنها والإشارة إلى النفس .

(٢٢) اسم لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه والإشارة إلى الروح والله أعلم .

(٢٣) معدن صاف منير والإشارة إلى رقة ولطافة المكتوب وذلك لأن هذا المشهد روحى عال .

(٢٤) الأظهر .

(٢٥) وقتى .

(٢٦) إشارة إلى جمعية العارف وأن كل ما يشهده مراتب مفصلة فى جمعيته وهذا من أدق أذواق القوم فافهم وسلم .

(٢٧) سبقت الإشارة إلى ذلك .

(٢٨) ثانيه وذلك مفهوم من ارتباط ماء البحر بشاطئه .

(٢٩) فجوات داخلها اللسان .

(٣٠) أى دائم الدعوة تقول لا أبرح أفعل كذا أى لا أزال أفعله .

(٣١) الشىء المستدير وفى الدوران فى المجسمات إبداع إلهى دقيق .

(٣٢) هذا اللفظ غير ظاهر بنسخ الكتاب وصححته على هذا ويكون المعنى تخفى والله أعلم .

(٣٣) سمعتها وانتبهت لها .

(٣٤) هذا التعبير يصح فى عالم الإطلاق الروحانى المنتشرة فيه الفيوضات الإلهية بلا حد .

(٣٥) ضحى النهار أوله والبيت إشارة إلى ما ذكرته فى التعليق على البيت الأول .

(٣٦) العالم .

(٣٧) إشارة إلى الإرث المحمدى . والقبة الخضراء مشيدة على مثوى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة وخل معك ما ذكرته سابقا من الإطلاق الروحانى . ويشار بقوله (منصوبة) إلى ثبوت الشرع المحمدى . ويشار بلفظ (القهر) إلى التكاليف الشرعية . ولعل لفظ جارية فى البيت صحته دائرة وأنبه دائما على عدم ضبط النساخ فى كثير من مواضع هذا الكتاب فى طبعاته المختلفة . ومع هذا فإنى ما تراجعت فى شرحه وضبط ألفاظه لتأكدى من نسبة الكتاب لسيدى محيى الدين رضى الله عنه .

(٣٨) أى أن هذا السر من عالم الخفاء الذاتى .

(٣٩) ما يحصل .

(٤٠) مخدعها ومسكنها المستور .

(٤١) شديد الحب .

(٤٢) إشارة إلى شدة تمسك العارف المحقق بشمول جمعيته لكل شىء وسبق

من ذلك إشارات فانتبه .

(٤٣) النجوم الساطعة .

(٤٤) الزمان الطويل وبقية البيت شرح لذلك .

(٤٥) ما صعب .

(٤٦) ساروا وتركوا المحسوسات .

(٤٧) عبارة عن لفظ أنا أى مرتبة الصحو .

(٤٨) مواجهة ومباشرة .

(٤٩) من ميراث الكلام الإلهى . ولا تأخذ من ظاهر هذا الكلام ما هو مخصوص بحضرة الكلام الإلهى القديم ومن كلمه الحق .

(٥٠) مباشرة وسبق ما يريح فى ذلك .

(٥١) الثدى معروف والإشارة إلى تلقى الإفاضات الإلهية من الاسم الفتاح .

(٥٢) على حد قولهم :

شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفذ الشراب ولا رويت

(٥٣) إشارة إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام ولا تؤخذ هذه القصة على ظاهرها فالأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها . وتعبيرات سيدى محيى الدين رضى الله عنه هنا فى الأبيات الآتية المتعلقة بهذه القصة تؤخذ على سبيل الميراث الموسوى المحمدى .

(٥٤) يفهم مما سبق .

(٥٥) يفهم مما سبق .

(٥٦) الصراط هو الطريق .

(٥٧) المعتدل لختميته صلى الله عليه وسلم لجميع الأنبياء .

(٥٨) علامة .

(٥٩) ما يقدح به لإخراج النار من الحجر مثلا .

(٦٠) يفهم مما سبق .

(٦١) لعل المراد خلط الشراب .

(٦٢) العقار اسم للخمر وهذا الشرح يفيد فى شرح لفظ (المزج) السابق .

(٦٣) أشرح وأقول .

(٦٤) المرتبة الخاصة فى التحقيقات .

(٦٥) الأرض .

(٦٦) المثل المشبه هو الحضرة الخلقية .

(٦٧) الحضرة الحقية . وما جاء بعد ذلك من التحقيقات فى التشبيه والتنزيه يجرى على هذا الذى ذكرته .

الفصل الثالث

وبعد ما ذكر الشيخ رضى الله عنه من المنثور والمنظوم فى التحقيقات الخاصة بختم الأولياء الخاص وتحقيقات العلم بالله مما هو معروف عنه من الفتح الواسع فى سائر كتبه قال :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (البحر المحيط الذى لا يسمع لموجه غطيط) فى معرفة الذات والصفات والأفعال (بكر صهباء فى لجة عمياء) وهى معرفة ذات جلت عن الإدراك الكونى والعلم الإحاطى :غطس الغاطس ليخرج ياقوتها الأحمر فى صدفه الأزهر . فخرج إلينا من قعر ذلك البحر صفر اليدين مكسور الجناحين مكفوف العين . أخرس لا ينطق . مبهوتا لا يعقل . فسئل بعد ما رجع إليه النفس وخرج من سدفة الغلس فقيل له ما رابك وما هذا الأمر الذى أصابك. فقال : هيهات لما تطلبون وبعدا لما ترومون والله لا ناله أحد ولا تضمن معرفته روح ولا جسد . وهو العزيز الذى لا يدرك والموجود الذى يملك ولا يملك إذا حارت العقول وطاشت الألباب فى تلقى صفاته فكيف لها بدرك ذاته . ألا ترى حكم تجليه فى ربوبية الأزل . كيف خر الكليم موسى صعقا وتدكدك الجبل . فكيف لو تجلى فى هذه الربوبية من غير واسطة الجبل لنبيه موسى . لكان صاحب زمانه لا يوسى . بعد اندكاك وهلاك . بعثه فى نشأة مثلية وأملاك . وإذا كان تجلى الربوبية على هذا الحد . فأين أنت من تجلى الألوهية من بعد . وإذا كان هذا حظ المتبوع الكليم فكيف بحظ التابع الحكيم . فقد رمزنا فى الصفات أمرا يعجز عنه . ولا يصل أحد إلا إلى ما قدر له منه .

أقـــــــــــول :

وبعد ما نقلت ما سبق فاجأنى فى نسخ الكتاب اختلاف فى النقل . فطـــالعت الكتاب إلى آخره لأحصل على ما هو خاص بختم الأولياء فوجـــدت فصـــولا تتعلق كلها بالعلم بالله فاكتفيت بما نقلت . فإن كـــتب الشـــيخ رضى الله عنه غير هذا الكتاب وبخاصة (الفتوحات المكية) تكفى فى ذلك .

ختام الكتاب

من الضرورى جدا الحصول على أصل لهذا الكتاب مضمون النسبة إلى الشـــيخ رضى الله عنه وحينما يتيسر ذلك نعود إلى تحقيقه . والله الموفق .

تم مـــا أمكن من هذا الشـــرح

والحمد لله رب العالمـــين

رقـــم الإيـــــداع
٩٩/١٠٤/٥
الترقيم الدولى I.S.B.N.
977-19-9406-9